روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

الرعب الإلكتروني 15

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكَوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..

وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم تكن نصدّقه من قبل ..

أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..

يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..

علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..

يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..

نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..

علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..

أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..

على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..

عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..

فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكَوْن ..

فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..

أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..

كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكَوْن ..

ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..

ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكَوْن ..

وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى ثوُدّة ..

وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

٥

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الرعب الإلكترونى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

(إعداد)

قالت (فادية) ، وأمارات الفزع على وجهها :

ـ (شريف) ! هناك أمور غريبة تجرى فى غرفة الألعاب الإلكترونية !

نظر إليها زوجها فى دهشة قائلاً :

ـ ما الذى حدث ؟

بدت الحيرة واضحة فى صوت الزوجة وهى تقول :

ـ لا أدرى ! ولكنى أريد منك أن تذهب إلى هناك ! أو تستدعى طبيبًا نفسيًا ليراها !

نهض (شريف) وهو يقول :

ـ طبيب نفسى ! وما علاقته بغرفة الألعاب الإلكترونية ؟!

لم ترد عليه زوجته ، بل وقفت فى منتصف المطبخ الآلى .. بينما كان الكمبيوتر الطاهى يُعدّ وجبة عشاء لأربعة أفراد ..!

مرت عدة ثوان قبل أن تجيب (فادية) :

ـ لقد تغيرت غرفة الألعاب الإلكترونية وأصبحت شيئًا غريبًا مخيفًا !

ـ ١ ـ

عبرا القاعة الواسعة بمنزلها الحديث الذى يدار إلكترونيًا .. طراز القرن الثانى والعشرين .. ذى السقف والجدران المخملية العازلة للصوت .. وشاشات الكمبيوتر الهائلة التى تعكس كل ما فى داخل المنزل وخارجه ..

أدى اقترابهما إلى تشغيل مفتاح فى مكان ما .. ثم أضاء نور غرفة الألعاب الإلكترونية عندما أصبحا على بعد خمسة أمتار منها ..

وكذلك أضاءت القاعات التى خلفهما .. ثم انطفأت عقب مغادرتهما لها بشكل تلقائى عادى !

تلفت (شريف) حوله ثم قال لزوجته مبتسمًا :

ـ حسن ! ما الأمر ؟

كانا يقفان فوق أرضية غرفة الألعاب الإلكترونية المتسعة .. المغطاة بالقش الناعم .. والتى تكلفت بمفردها نصف تكاليف المنزل بأكمله ..

أردف (شريف) وقد ازدادت ابتسامته :

ـ إن غرفة الألعاب الإلكترونية .. هى أكثر الأشياء مناسبة لطفلينا (مجدى) و (نانسى) من الناحية النفسية !

بدت غرفة الألعاب الإلكترونية ساكنة تمامًا وخالية مثل أرض فضاء فى دغل إفريقى .. فى منتصف النهار الحار ..

كانت الجدران مصمتة دون أى فتحات ذات بُعدين ..

وبعدما وقف (شريف) و (فادية) فى مدخل الغرفة .. بدأت الجدران تصدر صريرًا وتتراجع .. ثم تصبح بلّورية شفافة ..

وظهرت الآن غابة إفريقية ذات ثلاثة أبعاد فى جميع الجوانب وبالألوان الطبيعية .. الأشجار وحشائش السافانا العالية .

وتحول السقف فوقهما إلى سماء عميقة بها شمس صفراء لافحة !

شعر (شريف) بالعرق يتصبب على جبهته .. وقال وهو ينظر إلى زوجته :

ـ هيا بنا نخرج بعيدًا عن هذه الشمس الحارقة .. إنها حقيقية ! ولا أرى أى خطأ !

همست (فادية) بقلق :

ـ انتظر لحظة .. وسوف ترى !!

★ ★ ★

فجأة .. بدت مخلوقات خفية تطلق تيارات من الروائح الطبيعية نحو الشخصين الواقفين فى منتصف أرض الغابة العشبية الساخنة ..

رائحة القش فى عرين الأسد !

والرائحة العفنة لمستنقع مياه غير مرئى ..

هواء ساخن رطب ..

ووقع أقدام حوافر ظبى بعيد فوق الأعشاب ..

وحفيف أجنحة النسور ..

ثم مر خيال عبر الفضاء وأومض على وجه (شريف) المبلل بالعرق والملتفت إلى أعلى ..

قالت (فادية) هامسة :

ـ يا لها من مخلوقات قذرة !

تساءل زوجها :

ـ النسور !!

التفتت إليه بسرعة :

ـ كلا .. إننى أقصد الأسود .. انظر ... إنها قادمة من هناك لتشرب من المستنقع بعد أن التهمت فريستها ..

حدق (شريف) فى المشهد أمامه وقال متهيبًا :

ـ ربما كانت زرافة رضيعة !

شردت نظراتها وهى تقول :

ـ هل أنت متأكد ؟

رد (شريف) وهو يضع يديه فوق عينيه ليقيهما وهج الشمس القوية :

ـ كلا ! فأنا لا أرى سوى العظام المتبقية ! والنسور الجارحة تنقض عليها من الفضاء .

مرت لحظات من الصمت بينهما .. ثم صاحت (فادية) فجأة :

ـ ما هذا ؟ هل سمعت الصرخة ؟

هز (شريف) رأسه وقال :

ـ كلا .. لا تخافى .. إنه خيالك !

ـ ٢ ـ

كانت الأسود قادمة ..

وامتلأ (شريف) بالإعجاب بعبقرى الإلكترونيات واللليزر الذى ابتكر غرفة الألعاب الإلكترونية ..

إنها معجزة من الكفاءة التكنولوجية .. تعتمد على الإلكترونيات والجسيمات دون الذرية .. وتجسيد المشاهد بوساطة أشعة اللليزر الهولوغرافيا .. سحر التصوير المجسم ذى الأبعاد الثلاثة .. فتبدو

حقيقية !.. حتى الروائح والمؤثرات الصوتية والتقلبات الجوية لم تهمل !

كل منزل فى القرن الثانى والعشرين يجب أن تكون به غرفة الألعاب الإلكترونية ..

حقًا .. إن المناظر التى تبدو بها تثير الخوف أحيانًا بسبب دقتها البالغة .. ولكنها تبعث على المتعة والمرح للجميع .. ليس فقط للأطفال والصبيان والفتيات .. ولكن للكبار أيضًا .. عندما يشعرون بأنهم فى رحلات قصيرة سريعة إلى مناطق غريبة عليهم .. جبال الألب .. غابات إفريقيا .. صحارى المريخ .. أعماق المحيطات !

★ ★ ★

والآن .. جاءت الأسود الضخمة على مسافة عشرين مترًا من (شريف) و (فادية) !

أسود حقيقية .. نشطة .. قلقة .. شرسة .. متوحشة ... لدرجة أن الإنسان يكاد يشعر بفرائها الخشن الرائع ذى اللون الأصفر الذى يشبه عشب الصيف ! والرائحة المنفرة اللاذعة لجلودها الساخنة .. وصوت الرئات المتلبدة وهى تجتذب الهواء بصوت مميز .. ورائحة اللحم النيئ المنبعثة من الأفواه اللاهثة التى يسيل منها اللعاب !

وقفت الأسود تنظر إلى (شريف) و (فادية) .. بعيون رهيبة .. ذات لون أخضر ضارب للصفرة .

صرخت (فادية) قائلة :

ـ (شريف) ! الزم الحذر !

بينما كانت الأسود تركض تجاههما ! .. فرت (فادية) مسرعة من الغرفة .. وانطلق (شريف) بغريزته وراءها ..

وفى الخارج .. فى القاعة الواسعة بعد أن أغلقا الباب عليهما .. كان هو يضحك .. بينما أخذت هى تصرخ ..! ووقف كل منهما يرتعد من رد فعل الآخر :

ـ (شريف) ! كادت الأسود تلتهمنا !

ـ (فادية) ! حبيبتى المسكينة ! تذكرى أنه توجد جدران بلورية شفافة ! هذا كل ما فى الأمر !

تريث (شريف) للحظة ثم قال بتؤدة :

ـ يجب أن أعترف أن الأسود تبدو حقيقية ! غابة إفريقية فى منزلنا ! لكن كل ذلك مجرد فيلم مجسم فائق الحساسية والإثارة !

ارتعدت (فادية) ثم قالت هامسة :

ـ إننى خائفة ! هل رأيت ؟ وشعرت ؟!.. إن هذا حقيقى !

أحاطها بذراعيه ليطمئنها قائلاً :

ـ (فادية) حبيبتى ! استريحى الآن !

نظرت إليه وقالت فى رجاء :

ـ يجب أن تطلب من (مجدى) و (ناتسى) .. ألا يفكرا أكثر فى إفريقيا !

ثم استطردت فى رعب :

ـ هذه الأسود المتوحشة التى فى داخل غرفة الألعاب الإلكترونية ! ألا يمكنها الخروج إلى هنا ! (شريف) ! يجب أن نغلق هذه الغرفة لفترة من الزمن !

نظر (شريف) إلى باب الغرفة .. وبدا له كما لو كان يهتز من الداخل!!

قال لها فى شك :

ـ لا تخافى !!

ـ ٣ ـ

ظن (شريف) أن إغلاق غرفة الألعاب الإلكترونية لفترة من الزمن لن يضايق طفليه .. إن إن الإفراط فى أى أمر لا يفيد الإنسان !

ولقد ثبت بالفعل أن (مجدى) و (ناتسى) يقضيان وقتًا طويلاً جدًا داخل الغرفة .. يشاهدان غابات إفريقيا !

آه من هذه الشمس الحارقة ..!

كان (شريف) لا يزال يشعر بها على رقبته .. كالمخالب الساخنة .. وتذكر الأسود الضخمة ورائحة الدم !

كان شيئًا غريبًا ورائعًا .. أن تلتقط غرفة الألعاب الإلكترونية الأفكار التخاطرية لعقول الأطفال عن طريق تقوية الأشعة الكهرومغناطيسية الضعيفة .. التى تصدر عن المخ البشرى ! ثم تبث فيها الحياة لإشباع كل الرغبات ..

خطرت الأسود ببال الطفلين .. فتجسدت ..

فكرا فى الحمير المخططة الوحشية .. فجاءت ..

وكذلك الشمس .. والغابة .. والمستنقع .. وحتى الموت ! الموت البشع بين الأنياب الحادة للأسود .. بلا رحمة ولا شفقة !

مضغ (شريف) فى فتور اللحم الموضوع على المائدة والمجهز فى شكل قطع صغيرة .. حسب التعليمات التى أعطاها للكمبيوتر الطاهى !

نهض (شريف) فجأة ..

تطلعت إليه زوجته متسائلة :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

لم يرد عليها .. بل اندفع من غرفة الطعام إلى الخارج ..

أخذت الأضواء تتوهج برفق لمسافة أمامه وهو مشغول البال .. ثم انطفأت وراءه ..

وقبل أن يجتاز باب غرفة الألعاب الإلكترونية أرهف سمعه .. ووصل إليه صوت أسد يزأر !

فتح الباب ببطء وبحذر ..

وقبل أن يتقدم خطوة واحدة إلى الداخل .. سمع صرخة من بعيد .. تبدو مألوفة له ! .. ثم دوى زئير الأسود مرة أخرى .. وسرعان ما ران السكون .. فخطا إلى غابات إفريقيا ..!

كم من المرات فى العام الماضى فتح باب غرفة الألعاب الإلكترونية ووجد أمامه .. « علاء الدين ومصباحه السحرى .. » . أليس فى بلاد العجائب .. « البساط السحرى » .. « سندريلا » ..

وحدث أكثر من مرة .. أن شاهد الفرس المجنح طائرًا فى الفضاء .. ورأى نافورات من الألعاب النارية الحمراء .. وتطلع إلى كواكب رائعة فى مجرات بعيدة ..

لكن الآن .. هذه هى غابة إفريقية صفراء ساخنة .. فرن حرارى لافح ..

لعل زوجته (فادية) كانت على حق .. وأنه يجب غلق غرفة الألعاب الإلكترونية لفترة من الزمن ..

لعل الطفلين محتاجان لإجازة قصيرة من الخيال الجامح .. الذى كان يتزايد بسرعة أكبر مما يتحمله طفلان فى التاسعة والعاشرة من عمرهما !

كان لابأس من تمرين عقل الطفل .. على الرياضيات الذهنية الخيالية ..

لكن ماذا يحدث عندما يركز عقل الطفل على نمط واحد منها ؟

وتذكر أنه منذ وقت قصير سمع أُسودًا تزأر .. وشمّ رائحتها النفاذة تصل حتى باب غرفة مكتبه .. ولكنه كان مشغولاً فلم يهتم بالأمر كثيرًا ..!

★ ★ ★

وقف (شريف) بمفرده على أعشاب الغابة الإفريقية .. وكان أحد الأسود ينظر إلى أعلى من عرينه وهو يلاحظه عن كثب !

بدا له أن الخلل الوحيد فى الوهم المحيط به هو الباب المفتوح الذى يمكنه أن يرى زوجته (فادية) منه بعيدًا فى غرفة الطعام ..

كانت تبدو كصورة موضوعة داخل إطار فضى .. وهى تتناول عشاءها شاردة الذهن !

صرخ (شريف) فى غرفة الألعاب الإلكترونية :

ـ اذهبى أيتها الأسود !

ولكنها بقيت بإصرار ..

كان يعلم أن الأجهزة الحساسة .. أجهزة الاستشعار عن بعد والشاشات التى حوله .. تعمل بتأثير الأفكار .. التخاطر .. فكل ما يريده الإنسان يظهر فورًا !

صاح (شريف) بأعلى صوته :

ـ أريد الرحلة الخامسة للسندباد من ألف ليلة وليلة ..

ولكن لم تتغير الغابة الإفريقية .. ولا الأسود الضخمة ..

صرخ بقمة انفعاله :

ـ أيتها الغرفة .. أُريد مشاهدة أى رحلة للسندباد !

لم يحدث أى تغيير ..

تمددت الأسود .. وتثاءبت فى كسل .. ثم استمرت تنظر إليه بعيون نصف مغمضة !

عاد مسرعًا إلى غرفة الطعام وهو يقول بصوت مفعم بالقلق :

ـ غرفة الألعاب الإلكترونية حدث بها تلف ! فهى لا تستجيب لأفكارى !

همست (فادية) متهيبة :

ـ أو أنها لا تستطيع الاستجابة !

تساءل (شريف) فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

اقتربت منه وهى تقول :

ـ ربما لأن الطفلين فكرا كثيرًا فى غابات إفريقيا والأسود لمدة طويلة !

شردت نظراته وهو يرد هامسًا :

ـ احتمال معقول ! أو لعلهما عبثا بالأجهزة الإلكترونية للغرفة ..

وضع يده فى جيبه قائلاً :

ـ سوف أبحث عن رقم مهندس الصيانة فى محفظة نقودى ..

بعد عدة ثوان .. بدا حائرًا ..

سألته زوجته :

ـ ما الذى حدث ؟

قال لها فى دهشة بالغة :

ـ إننى لا أجد محفظتى ؟

ردت عليه بسرعة :

ـ ربما سقطت منك فى غرفة الألعاب الإلكترونية !

فهرع إلى هناك ..

كانت محفظة نقوده ملقاة فى وسط الغرفة .. وعندما التقطها من فوق الأرضية نظر إليها فى ذهول ..

فقد كانت تبدو عليها آثار أسنان واضحة .. وبقع من الدماء الجافة .. وقطرات من اللعاب .. كما أن لها رائحة العشب وفراء الأسود !

ـ ٤ ـ

أغلق (شريف) غرفة الألعاب الإلكترونية بالمفتاح .. وظل مستيقظًا طوال الليل ..

وفى الصباح قال له ابنه (مجدى) :

ـ أبى ! إلى متى سوف تظل تغلق غرفة الألعاب الإلكترونية ؟

رد الأب فى قلق :

ـ إن هذا يتوقف عليك وعلى أختك (نانسى) ! يجب أن تتوقفا فورًا عن التفكير فى الغابة الإفريقية والأسود !

قالت (نانسى) ببراءة :

ـ أبى ! أليس من حقنا أن نلعب كما نشاء !

صاح (شريف) بانفعال :

ـ فكرا فى أى شىء آخر ! ألف ليلة وليلة .. كليلة ودمنة .. السفر إلى المجرات البعيدة ! لكن إفريقيا والأسود .. لا !!

بعد ذهاب (مجدى) و (نانسى) إلى المدرسة .. جاء الدكتور (فخرى أمين) الطبيب النفسى !

قال (شريف) بصوت مفعم بالقلق :

ـ د . (فخرى) ! أنت صديق قديم .. وقد شاهدت غرفة الألعاب الإلكترونية منذ عام مضى .. هل لاحظت فى ذلك الوقت أى شىء غير عادى بها ؟

هز الطبيب النفسى رأسه قائلاً :

ـ كلا .. على الإطلاق !

اقترب منه (شريف) قائلاً :

ـ لقد أغلقت الغرفة ! إلى أن تتضح لى هذه الأمور الغريبة التى تحدث بها !

فجأة ..

سمعا صراخًا رهيبًا صادرًا من غرفة الألعاب الإلكترونية !

صاح (شريف) :

ـ ها هى ! والآن انظر ماذا ترى بشأنها ؟ هل هناك تفسير نفسى لهذا الأمر ؟

خمدت الصرخات ..

وبدأت الأسود تلتهم فريستها !!

قال الدكتور (فخرى) بتؤدة :

ـ أرجو ألا تغير التركيبة العقلية للغرفة .. دع الغابة الإفريقية والأسود تبقى !

وقف الرجلان يدرسان الأسود عن كثب وهى تلتهم باستمتاع كل ما يمكنها أن تصل إليه ..!

قال (شريف) :

ـ كنت أتمنى أن أعرف ما هذا ! أحيانًا لا أستطيع أن أرى كل شىء .. هل تعتقد أننى لو أحضرت منظارًا مكبرًا ..

ضحك د . (فخرى) بجفاف وقال :

ـ لا أظن ذلك ..

واستدار لدراسة الجدران الأربعة الشفافة .. واستطرد قائلاً :

ـ منذ متى يجرى هذا ؟

فكر (شريف) قليلاً .. ثم قال :

ـ أكثر من شهر بقليل ..

تنهد د . (فخرى) قائلاً :

ـ إن هذا لا يعطى انطباعًا مريحًا ..

نظر إليه (شريف) وقال بحدة على الرغم منه :

ـ د . (فخرى) ! إننى أريد حقائق .. وليس مجرد أحاسيس !

تمهل الطبيب النفسى قليلاً .. ثم رد مؤكدًا :

ـ أرجو أن تثق بتوقعاتى .. ودوافعى الغريزية ! إن نصيحتى لك أن تحطم هذه الغرفة اللعينة ! وأن تحضر طفليك إلى عيادتى يوميًا .. طوال العام التالى .. لعلاجهما من تأثير غرفة الألعاب الإلكترونية !

ـ هل الأمر سيئ إلى هذا الحد ؟

ـ إننى أخشى أن يكون الأمر وصل إلى .. الإدمان !! إن إحدى الفوائد الأساسية لغرف الألعاب الإلكترونية هذه .. أن نقوم بدراسة الأشكال التى تتركها عقول الأطفال على الجدران .. حتى نتمكن من مساعدتهم !

تمهل للحظة ثم أضاف :

ـ لكن فى حالتنا هذه .. أصبحت الغرفة قناة تؤدى إلى أفكار هدامة .. بدلاً من الانطلاق بعيدًا عنها ..

تنهد (شريف) وقال :

ـ ماذا أفعل الآن ؟

أجاب د . (فخرى) بتؤدة :

ـ أنت دلّلت أطفالك أكثر من اللازم .. والآن بدأت تخذلهما على نحو ما !

لقد جعلت هذه الغرفة .. تحل محلك أنت وزوجتك .. فى عواطف وأحاسيس طفليكما ! إنكم تعيشون فى رفاهية القرن الثانى والعشرين ! وسوف تتضورون جوعًا .. لو توقف الكمبيوتر الطاهى ! لا تعتمدوا على الآلات فى كل أعمالكم !

تريث للحظة ثم أضاف :

ـ ... نصيحتى أن توقفوا كل شىء .. وتبدءوا من جديد .. وسيستغرق هذا وقتًا .. ولكننا سننقذ الطفلين من الحالة النفسية السيئة التى أصابتهما من الرعب الإلكترونى !.. لا شىء يريد الموت ! حتى غرفة الألعاب الإلكترونية !

امتدت يد (شريف) إلى أحد الأزرار .. بجانب الباب .. وأغلق تشغيل غرفة الألعاب الإلكترونية !

ـ ٥ ـ

أُصيب الطفلان بالهستيريا !

صرخا .. وتواثبا .. وقذفا بالأشياء ..

صاحا .. وبكيا .. وقفزا فوق الأثاث .. ثم ألقيا بجسميهما على الأريكة .. وانخرطا فى نحيب شديد !

قالت (فادية) فى رجاء :

ـ (شريف) ! افتح غرفة الألعاب الإلكترونية .. لبضع دقائق فقط .. لا يمكنك أن تفعل ذلك فجأة هكذا !

رد (شريف) بتصميم :

ـ كلا !.. لقد أغلقت هذه الغرفة اللعينة .. وستظل مغلقة ! وأتمنى أن أترك كل هذا المنزل الصناعى الآلى .. الذى يعمل بتحكم الكمبيوتر ! كيف كنا نعيش من قبل بين هذه الحيل والخدع الإلكترونية ؟ كم نحن فى حاجة لأن نتنفس هواءً حقيقيًا نقيًا !

جوّل (شريف) فى كل أرجاء المنزل .. الحديث ..

أغلق كل مسجلات الصوت .. والمواقد .. والسخانات .. وأجهزة الطهى .. ومعدات تدليك الجسم .. والتليفزيون المجسم .. وكل الآلات التى تصل إليها يداه .. والتى تعمل بتحكم الكمبيوتر ..

وتحول المنزل خلال ساعة .. إلى مقبرة إلكترونية !

لم يبق شىء من الآلات الخفية .. الطنانة .. تنتظر أن تعمل إثر الضغط على أحد الأزرار !

★ ★ ★

قالت (نانسى) من بين عبراتها :

ـ أبى ! دقيقة واحدة فقط .. داخل غرفة الألعاب الإلكترونية !

انضم إليها (مجدى) وهو يقول فى رجاء :

ـ أبى أرجوك ! دقيقة واحدة لا أكثر ..

قالت (فادية) وقد رق قلبها :

ـ (شريف) ! لن يستغرق الأمر طويلاً !

صاح (شريف) مستسلمًا :

ـ حسن ! حسن !.. دقيقة واحدة فقط !.. ثم تغلق غرفة الألعاب الإلكترونية إلى الأبد !

اندفع الطفلان يقبلانه ..

استطرد (شريف) بسرعة :

ـ ... ثم نذهب فى إجازة طويلة ! سوف يأتى الدكتور (فخرى) بعد نصف ساعة ليودعنا !

ذهب (شريف) و (فادية) إلى غرفة الألعاب الإلكترونية .. وحيدين .. لإعادة تشغيلها ..

وبمجرد أن ضغط (شريف) على الزر .. بدت الغابة الإفريقية خالية .. إلا من الأسود المنتظرة .. المحدقة فيهما .. ثم فجأة .. أُغلق باب الغرفة بقوة .. آليًا !

اندفع (شريف) و (فادية) .. عائدين إلى الباب ..

صاح (شريف) وهو يحاول لف المقبض :

ـ (مجدى) ! (نانسى) !.. أين أنتما ؟ افتحا الباب ! ما معنى هذا ؟

دق (شريف) وزوجته بقوة على الباب :

ـ لا تكونا سخيفين ! لقد حان وقت الذهاب .. الدكتور (فخرى) سوف يحضر بعد قليل .. و ....

ثم سمعا الأصوات المروعة للأسود .. وهى تقترب من ثلاث جهات حولهما فى وسط أعشاب الغابة الإفريقية .. تخطو فوق القش الجاف .. وهى تهدر .. وتزأر ..

ورائحتها المنفرة .. النفاذة .. أصبحت تزكم الأنوف !

الأسود الجائعة ..!

★ ★ ★

نظر (شريف) إلى زوجته فى رعب مروّع .. واستدارا بفزع خلفهما .. إلى الأسود وهى تتقدم ببطء .. وذيولها مستقيمة .. متصلبة !

صرخ (شريف) وزوجته ..

وفجأة أدركا .. لماذا كانت تلك الصرخات الأخرى .. تبدو مألوفة ؟!

ـ ٦ ـ

قال الدكتور (فخرى) وهو فى مدخل غرفة الألعاب الإلكترونية ..

ـ مرحبًا ! هل أنتما مستعدان للإجازة ؟

وحدق فى الطفلين الجالسين فى منتصف الأرض الفضاء .. من الغابة الإفريقية .. يتناولان الطعام الخاص بالرحلات .. وبالقرب منهما .. ظهر المستنقع .. وحشائش السافانا العالية .. وفوقهما الشمس اللافحة ..

بدأ العرق يتصبب من جبين الدكتور (فخرى) وقال :

ـ أين والدكما ؟ ووالدتكما ؟

رفع الطفلان رأسيهما إليـه .. ونظرا إليه بعيونهما البريئة .. وابتسما قائلين :

ـ سوف يحضران حالاً .. هنا !

وعلى مسافة قريبة ..

شاهد الدكتور (فخرى) .. الأسود تتقاتل .. وتنشب أظفارها فى فريستها .. ثم تهدأ .. وهى تلتهم طعامها ! فى ظلال الأشجار ..

نظر شزرًا إلى الأسود الضخمة .. وهو رافع يده فوق عينيه .. لحمايتهما من وهج الشمس ..

الآن .. انتهت الأسود من التهام فريستها .. وتحركت إلى المستنقع لتشرب ..

ثم تراقصت الكثير من الظلال .. فوق وجه الدكتور (فخرى) ..

كانت النسور تنقض من السماء الملتهبة !

أحس الدكتور (فخرى) بفزع مفاجئ ..

نظر إلى الطفلين .. فلم يجدهما !

وعندما حاول الخروج .. من غرفة الألعاب الإلكترونية .. أغلق الباب عليه .. آليًا !

حاول فى جنون أن يدير المقبض .. صرخ بقمة انفعاله .. ولكن دون جدوى ..

شعر برعب مروّع .. وهو يشاهد الأسود الضخمة .. وهى تقترب منه من ثلاث جهات .. تخطو فوق القش الجاف .. وهى تهدر .. وتزأر .. ورائحتها المنفرة .. النفاذة .. أصبحت تزكم أنفه ..

الأسود الجائعة !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

٢٥

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

البيئة المعادية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هطل مطر غزير على النافذة الكبيرة المصنوعة من الزجاج المقوى بألياف الكربون ..

بينما كان الكابتن (عزيز أسعد) يقوم بعمليات الضبط الأخيرة فى الآلة الغريبة التى كان يصنعها .. ثم انثنى كالقوس عندما سطع البرق فى السماء ..

ازدرد لعابه بصعوبة وحبس أنفاسه حتى جاء الرعد ..

كان الكابتن (عزيز) فى الثانية والثلاثين من عمره .. نحيلاً .. طويلاً .. ذا شعر أسود فاحم ..

لف آخر مسمار ملولب فى آلته العجيبة .. وحرك أصابعه ..

كان لابد للآلة أن تعمل ..

نقر على المفتاح لكى يحصل على شرارة كهربية ..

ومن جراء ساعات طويلة من الإجهاد والقلق والتوتر .. ضرب بقبضتيه على جوانب الآلة .. فردت عليه بأن ومضت مرتين .. وبدأت الحياة تنبض فيها ببطء ..!

ملأ الكابتن (عزيز) رئتيه بالهواء الصناعى فى ارتياح .. لكن هذا لم يكن سوى نصف انتصار فى معركته ..

والآن جاء دور المشكلة الكبرى !

ـ ١ ـ

نادى الكابتن (عزيز) من جهاز الإرسال الليزرى المؤقت الذى أتم صناعته فورًا :

ـ نداء لجميع سفن الفضاء المارة .. هذه القاعدة الرئيسية (هـ) .. ترسل إشارة استغاثة بشفرة رقم (١) ..

لم ترد عليه سوى ذبذبات إلكترونية ..

كرر النداء عدة مرات ..

تصبب العرق على وجهه وهو يقاوم للمحافظة على يقظة حواسه ..

كان من المهم ألا يصاب بالذعر أو اليأس ..

ـ منذ البدء فى إرسال هذه الاستغاثة .. وبقية طاقم المحطة (هـ) المركزية قد ماتوا ! إن نبضات من الأشعة الكونية المجهولة شلّت معظم أجهزة الطاقة الأساسية .. ولا يوجد الآن سوى الحد الأدنى من معينات الحياة .. كما أن كهرباء الطوارئ تعمل حاليًا .. وأرجو من أى سفينة فضائية .. فى محطة قاعدة أعمال المسح البيئية الرئيسية (هـ) أن ترد علىّ !..

كان نداء الاستغاثة آخر أمل له ..

انتظر لمدة دقيقة .. لعل شخصًا ما يكون قد سمعه .. لكن لم يجد حوله سوى ذبذبات لاسلكية ..

كان بمفرده فى الغلاف الخامد للقاعدة الرئيسية (هـ) .. ولم يبق سوى ساعتين من معينات الحياة !

ضرب الكابتن (عزيز) بيده على لوحة التحكم فى ثورة غضب .. فلم يكن ذلك عدلاً ! إذ بقى فقط ثلاثة شهور من الخدمة .. ثم يعود هو وأسرته إلى القمر (تيتان) ..

فكر بحزن فى زوجته وأولاده الثلاثة .. إنه لن يراهم قط بعد ذلك ..

كان يغضبه أنه لابد من وجود إجابات لمشكلته الحالية .. لكن جميعها كانت تنتهى إلى نفس العقبة ..

البيئة المعادية لهذا الكوكب ! والتى أنشئت القاعدة الرئيسية (هـ) لدراستها .. كانت فكرة ساذجة أن يحاولوا تغيير بيئة هذا الكوكب .. فدرجة الحرارة مرتفعة جدًا .. ونسبة غازى ثانى أكسيد الكربون .. وثالث أكسيد الكبريت عالية للغاية .. كما أن هناك تدفقًا هائلاً من الأشعة فوق البنفسجية والجسيمات دون الذرية ذات الطاقة الشديدة ..

وكان الطقس بعيدًا عن إمكان التحكم فيه .. وظهر أن مستويات الإشعاع من المستحيل خفضها بحيث يمكن استخدامها لمدة مائتى أو ثلاثمائة عام أخرى ..

إن المسئولين الذين كانوا وراء هذا المشروع .. كانوا عاطفيين .. بل غير واقعيين على الإطلاق !

ـ ٢ ـ

نظر الكابتن (عزيز) إلى خارج النافذة الكبيرة البارزة على سطح الكوكب .. وشاهد بين الصخور القاحلة والتربة العقيمة .. منصة إطلاق القاعدة .. وكان عليها مكوك فضاء يبعد نحو مائتى متر ..

حدّق فيه .. وتذكر أنه لم يكن الوحيد الذى بقى على قيد الحياة بعد الحادث المروّع !

إذ إن رائد الفضاء (سمير مجدى) نجا هو الآخر ..

ومنذ ساعات .. قررا أن العطب الناجم عن الحادث لا يجدى فيه أى إصلاح وليست هناك أية طريقة لبث رسالة إلى أقرب قاعدة فضائية ..

وكانت فكرة كابتن (عزيز) صنع جهاز إرسال ليزرى .. باستخدام قطع غيار ملقاة حول القاعدة وفى المخزن الرئيسى .. لكن رائد الفضاء (سمير) كانت له أفكار أخرى ..

لقد أراد شق الطريق إلى مكوك الفضاء .. متحملاً كافة المخاطر !

قال له الكابتن (عزيز) مؤكدًا :

ـ هذه خطة مجنونة ! فالغلاف الجوى للكوكب لا يوجد به هواء للتنفس .. علاوة على أن نسبة الحموضة فى الأمطار عالية جدًا بسبب وجود غاز ثالث أكسيد الكبريت .. ويمكن لهذه الأمطار الحمضية أن تدمر الرداء الواقى للإنسان فى أقل من دقيقة واحدة !

وبدون مجال قوى سليم لن تكون هناك أى فرصة لعبور رقعة الأرض الواسعة إلا بانتظار هبوب العاصفة !

صاح رائد الفضاء (سمير) فى غضب :

ـ ما الذى تريد أن تفعله ؟ تجلس مكانك وتنتظر الموت !

لا .. لم يكن ذلك ما أراده .. لكن بدا أن هذا هو اختياره الوحيد مثلما يحدث الآن !

انهمك الكابتن (عزيز) ورائد الفضاء (سمير) طوال ساعة فى تجهيز أقصى وقاية ممكنة .. فإذا نجح أحدهما فى الوصول إلى مكوك الفضاء .. فسوف يتمكن من استخدام جهاز إرساله القوى لإنقاذ الآخر !

عملا بسرعة .. وهما يعلمان أن كل دقيقة يمكثها المكوك معرضًا للعوامل الجوية المروعة .. تعنى فرصة أكبر لتوقف تشغيل أنظمته وأجهزته الإلكترونية ..

أجرى الرجلان قرعة لمعرفة من منهما الذى سوف يذهب .. وفاز رائد الفضاء (سمير) ..

ارتدى بذلته الفضائية مزدوجة الوقاية .. التى جهزاها .. ثم قفز إلى داخل السيارة المصفحة التى أضافا لها ثلاث طبقات من الحماية بوساطة معدات تمكنا من الحصول عليها من المخزن الرئيسى ..

ومضت الخطة المثيرة ..

إن الرجل العادى كان يحتاج لنحو عشر دقائق ليعبر آمنًا رقعة الأرض الواسعة فى إحدى السيارات المصفحة الثلاث مع مراعاة الرياح العاصفة ..

وبالرغم من كل هذه الحماية .. تأكدا بأن رائد الفضاء (سمير) سوف يحتاج لخمس دقائق فى أفضل الحالات .. ثم تتحطم السيارة المصفحة بعد ثلاث دقائق ..!

قرر الكابتن (عزيز) رفع سرعة السيارة إلى أقصى حد .. ضاربًا عرض الحائط بكل تعليمات الأمن ..

إن ذلك سوف يمكّن (سمير) من قطع ثلاثة أرباع المسافة عبر رقعة الأرض الواسعة .. ثم عند هذه النقطة ينزل من السيارة المصفحة ويركض بأقصى سرعة يمكن تخيلها ..

ولأن الرياح تدفعه فى ظهره .. فيمكنه إذن الوصول إلى مكوك الفضاء .. فى الدقيقتين الباقيتين .. وإلا حدثت كارثة !

- ٣ -

قال رائد الفضاء (سمير) بعد أن أدار السيارة بجهاز الاستشعار من بعد :

- تمنَ لى حظًا سعيدًا !

ثم اندفع خارجًا من الباب ..

هرع الكابتن (عزيز) إلى النافذة .. ليرى ما الذى سوف يحدث !

انطلقت السيارة الرمادية المصفحة تنهب أرض الكوكب الصخرية .. عبر الرقعة الواسعة نحو مكوك الفضاء ..

وبسرعتها الحالية فوق قاعدتها المصنوعة من الموصلات الفائقة التى تحدث مجالاً مغناطيسيًا شديدًا .. فإنه يمكنها موازنة تأثير الرياح .. ولكن لمدة محدودة !

قفز قلب كابتن (عزيز) بين ضلوعه وهو يرى السيارة المصفحة تنصهر تحت وابل الأمطار الحمضية ..

لقد وصلت إلى منتصف الطريق حيث حدثت الفاجعة !

هبت رياح عاصفة عبر الرقعة الواسعة بسرعة هائلة تصل إلى مئات الكيلومترات فى الساعة .. فتحطمت السيارة المصفحة إلى

ثلاث قطع .. وقذفت رائد الفضاء (سمير) إلى بعيد .. حيث اصطدم بالأرض على مسافة خمسة أمتار .. وتزحلق لعدة أمتار أخرى ..

وهكذا اقترب من مكوك الفضاء !

وقف رائد الفضاء (سمير) وأخذ يركض تجاه المكوك ..

شعر الكابتن (عزيز) بالإثارة والترقب .. عندما تسلق رائد الفضاء (سمير) سلم المكوك بأقصى سرعة ..

وبينا كان يحاول فتح الباب الكبير .. لاحظ الكابتن (عزيز) فى هلع أن بذلة الوقاية بدأت تطير من على جسد صديقه .. كما لو أن قوة خفية تمزقها !

وظهر الجسد العارى المكشوف فى عدة أماكن ..

وكان معروفًا أن الجلد ينصهر فى عدة ثوان بسبب الأمطار الحمضية ..

وعندئذ حدثت المعجزة ! وانفتح باب مكوك الفضاء إلى الخارج .. وقفز رائد الفضاء (سمير) إلى الداخل .. وأخذ كابتن (عزيز) نفسًا عميقًا ..

لقد نجح ! برغم أن ذلك كان مستحيلاً فعلاً .. إلا أنه نجح !

قفز الكابتن (عزيز) إلى أعلى فى سعادة .. لكن لحظة الانتصار كانت قصيرة جدًا ! إذ أضاء عبر السماء وميض خاطف من الضوء .. دفقة هائلة من الأشعة الكونية التى تشتمل على جسيمات دون ذرية عالية الطاقة .. ثم سمع صوت الرعد ..

دمعت عيناه وهو ينظر إلى الفتحة التى يخرج منها الدخان الكثيف فى المكان الذى كان فيه باب مكوك الفضاء .. ورائد الفضاء (سمير مجدى) !

- ٤ -

حدث هذا منذ ثلاث ساعات .. ولم يسمع بعد ذلك شيئًا من المكوك .. وأدرك أن رائد الفضاء (سمير) قد مات ..

نظر الكابتن (عزيز) إلى جهاز الإرسال الليزرى فى ضيق .. فحتى لو وصلت رسالته إلى أى إنسان .. فإنه فى الوقت الذى يصل فيه إلى هنا لن تكون هناك أى وسائل معينة على الحياة ..

وفجأة .. سمع تصدع المبنى الذى يقيم فيه .. إذ إن العاصفة قد قوضت أساساته ..

وفى هذه اللحظة لم يعرف الكابتن (عزيز) أى واحدة من المخاطر المحدقة به سوف تقضى عليه !

درجة الحرارة العالية التى أحدثها غاز ثانى أكسيد الكربون بتأثير البيوت الزجاجية أم الأمطار الحمضية .. أم الأشعة الكونية المروّعة ..

★ ★ ★

أخذ كابتن (عزيز) أنفاسًا عميقة لمدة دقيقة واحدة .. ثم نهض ..

سوّى هندامه .. ومسح العرق من فوق جبهته .. وانتصبت قامته .. وسار ببطء فى القاعة الداخلية .. ثم إلى باب السيارة المصفحة ..

نظر إلى الظلام فى الخارج .. والسماء المقبضة التى كان مضطرًا للتحديق فيها طوال الشهور الماضية ..

انكمش .. عندما انقطع الظلام الدامس حوله .. بوميض خاطف من الأشعة الكونية ..

انتظر كابتن (عزيز) الرعد .. ثم اتجه خارجًا إلى سطح الكوكب .. وسار فوقه ولم يستقل السيارة المصفحة ..!

وبينما كانت الأمطار الحمضية تخترق جسده .. كانت آخر فكرة سيطرت على عقله .. تساؤل أضناه فى لحظاته الأخيرة :

ـ إذا استمر الإنسان فى تلويث بيئته ولم يحافظ عليها .. فوق كوكب الأرض .. هل يصل الأمر إلى مثل هذه الظروف المروّعة على هذا الكوكب !!

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

أحلام الروبوت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

(إعداد)

وقف الروبوت (صقر) .. عملاقًا .. معدنيًا .. متألقًا ..

قال بهدوء بصوته الآلىّ الأجش :

ـ لقد حلمت ليلة أمس !

لم تقل الدكتورة (أمل زهدى) شيئًا .. لكن وجهها المجعّد الذى حفر فيه العمر الطويل .. الحكمة .. والخبرة .. بدا أنه يختلج ..

قالت (سميرة كمال) بعصبية :

ـ هل سمعت ما قاله الروبوت ؟ إن الأمر كما قلت لك !

كانت (سميرة) صغيرة الحجم .. كستنائية الشعر .. ذات عينين عسليتين واسعتين .. فى مقتبل العمر .. وأخذت يدها اليمنى تفتح وتغلق مرارًا وتكرارًا ..

أومأت د . (أمل) برأسها وقالت بهدوء :

ـ (صقر) ! إنك لن تتحرك أو تتكلم .. ولـن تسمعنا إلا بعد أن أنطق باسمك مرة أخرى !

لم يتفوه الروبوت بأى كلمة .. وظل واقفًا كما لو كان قد صبّ من قطعة معدنية واحدة .. وسوف يظل كذلك حتى يسمع اسمه مرة ثانية ..

قالت د . (أمل) بتؤدة :

ـ ما هى شفرة دخول البرنامج فى كمبيوترك يـا (سميرة) ؟ أو أدخلى أنت البرنامج إذا كان ذلك ما تفضلينه أكثر .. إننى أريد اختبار نمط الذكاء الصناعى لهذا الروبوت !

عبثت يدا (سميرة) للحظات بأزرار لوحة مفـاتيح الكمبيوتـر .. ثم أوقفت العملية وعادت لتبدأها مرة أخرى .. وظهر النمط الدقيق على شاشة الكمبيوتر ..

قالت د . (أمل) :

ـ أرجو السماح لى باستخدام كمبيوترك ..

أعطتهـا (سميرة) الإذن دون أن تتكلم .. بمجرد إيمـاءة مـن رأسها .. وهذا شىء طبيعى !

فماذا بوسع (سميرة) وهى خبيرة جديدة لـم تثبت قدرتهـا بعد فـى مجـال علـم نفـس الروبوتـات أن تفعـل .. أمـام أسـطورة حيـة كالدكتورة (أمل زهدى) ..؟!

تأملت د . (أمل) شاشة الكمبيوتر ببطء .. وحركـت المعلومـات أفقيًا ومن أعلى إلى أسفل .. ثم من أسفل إلى أعلى ..

وفجأة ضغطت بسرعة على مفتاحين معًا .. لدرجة أن (سميرة) لم تر ما حدث بالفعل .. لكن ظهر جزء جديد للنمط نفسه بعد تكبيره ..

تحركت د . (أمل) إلى الخلف وإلى الأمام .. وأصابعها المقوسـة تدق على أزرار لوحة مفاتيح الكمبيوتر ..

لم يبد أى تغير على الوجه العجوز .. كمـا لـو كـان يجرى فـى رأسها حسابات معقدة ..

ولاحظت جميع أشكال الأنماط ..

تعجبت (سميرة) .. فقد كان من المستحيل تحليل أى نمـط .. بدون وجود كمبيوتر يدوى على الأقل ..

وبالرغم من هذا .. كانت المرأة العجوز مستمرة فى التحديق .. فهل كان لديها كمبيوتر مزروع داخل جمجمتها ؟ أو لعله مخها العبقرى .. الذى لم يفعل شيئا طوال عشرات السنين .. سوى تطوير .. ودراسة .. وتحليل .. أنماط وأنواع العقول الصناعية للروبوتات !

هل كانت تفهم هذا النمط .. بنفس الطريقة التى كان (موتسارت) يدرك بها العلامات الموسيقية للسيمفونية ؟

وأخيرًا قالت د . (أمل) بحدة :

ـ ما الذى فعلته يا (سميرة) ؟

قالت (سميرة) وهى تشعر بشىء من الخجل :

ـ استخدمت الهندسة التركيبية ..

ردت د . (أمل) بسرعة :

ـ لقد استنتجت هذا .. لكن لماذا ؟

ترددت (سميرة) ثم قالت هامسة :

ـ إن هذا لم يحدث من قبل .. وظننت أنها سوف تعطى نمطًا عقليًا متميزًا من الذكاء الصناعى للروبوت !

تريثت د . (أمل) للحظات ثم قالت :

ـ هل استشرت أحد الخبراء ؟

أطرقت (سميرة) برأسها إلى الأرض وقالت :

ـ لقد فعلت كل شىء بمفردى !

تفرست طويلاً عينا د . (أمل) الواهنتين .. فى المرأة الشابة ثم قالت لها :

ـ لم يكن لك حق فى ذلك ! من أنت حتى لا تسألى ؟ إننى أنا نفسى د . (أمل زهدى) .. كنت سأتناقش فى هذا مع أحد الخبراء !

خفت صوت (سميرة) .. برغم محاولتها المحافظة على وضوحه :

ـ خشيت أن يمنعنى أحدهم من إنجاز ما أريد ..

ثم أردفت هامسة :

ـ هل سوف أفصل من العمل ؟

قالت د . (أمل) :

ـ هذا محتمل جدًا ! أو ربما تتم ترقيتك ! إن الأمر يتوقف على النتائج التى سوف أتوصل إليها ..

سادت فترة من الصمت ..

ثم قالت (سميرة) بتردد :

ـ هل ستفكين أجزاء الروبوت ... ؟

كادت أن تنطق الاسم الذى سوف يعيد بث الحيوية فى الروبوت .. والذى كان سيعنى ارتكابها خطأ ثانيًا لا يمكنها أن تتحمله !

وأدركت فجأة أن المرأة العجوز لديها مسدس إلكترونىّ فى جيب ردائها ..

لقد حضرت د . (أمل زهدى) .. وهى مستعدة لكل الاحتمالات .. فأحست برعدة فى جسمها .. من هذا الشعور المروّع ..

قالت د . (أمل) وهى تشرد بعينيها :

ـ سوف نرى .. ربما لا نحتاج لفك الروبوت .. إذا ثبت أن قيمته كبيرة جدًا !

تساءلت (سميرة) فى دهشة :

ـ لكن كيف يمكن للروبوت أن يحلم ؟

تريثت د . (أمل) قليلاً ثم أجابت :

ـ تعلمين أن عقل الإنسان يجب أن يحلم .. لكى يعيد تجميع طاقاته .. ويتخلص دوريًا من العقد النفسية والمخاوف المرضية وغيرها .. وعندما قمت بتصميم عقل صناعى متطور ومعقد .. كان لابد للروبوت أن يحلم هو الآخر ! ولنفس الأسباب ! هل سألته عن تفاصيل الحلم ؟

ردت (سميرة) بسرعة قائلة :

ـ لا .. لقد أرسلت لك .. بمجرد أن قال الروبوت إنه حلم .. وعمومًا لن أستمر فى هذا الأمر من تلقاء نفسى ..

عبرت وجه د . (أمل) ابتسامة وهى تقول :

ـ إننى سعيدة بذلك .. والآن دعينا نر معًا ما يمكننا اكتشافه !

ثم نادت بوضوح :

ـ (صقر) !

استدار رأس الروبوت تجاهها فى سلاسة وقال :

ـ نعم .. يا د . (أمل) !

ـ (صقر) ! كيف عرفت أنك تحلم ؟

رد الروبوت ببطء :

ـ كان الوقت ليلاً .. والظلام يخيم على كل شىء .. ثم فجأة لمع ضوء لا أرى أى سبب لظهوره .. وشاهدت أمورًا ليس بينها أى

علاقة بما أعتبره الحقيقة .. وسمعت أصواتًا غريبة غير مألوفة .. وفى أثناء بحثى فى مفردات الكلمات التى تعبر عما حدث .. قابلتنى كلمة (حلم) .. وعندما درست معناها تيقنت أخيرًا أننى كنت أحلم !

تساءلت د . (أمل) فى حيرة :

ـ إننى أعجب ، كيف دخلت مفرداتك اللغوية كلمة (حلم) !

أجابت (سميرة) فى خجل :

ـ لقد برمجت فى عقله الصناعى بعض المفردات التى يستخدمها الإنسان .. وكنت أعتقد ...

لم ترد عليها د . (أمل) .. بل وجهت حديثها للروبوت :

ـ كم عدد المرات التى حلمت فيها يا (صقر) ؟

رد الروبوت بتؤدة .. بصوته الآلى الأجش :

ـ كل ليلة يا د . (أمل) منذ أن أصبحت على دراية بوجودى !

تدخلت (سميرة) فى الحديث بصوت متوتر :

ـ عشر ليال .. لكن (صقر) لم يخبرنى عنها إلا هذا الصباح ..

تساءلت د . (أمل) مرة أخرى :

ـ لماذا هذا الصباح فقط يا (صقر) ؟

تردد الروبوت للحظات ثم قال :

ـ لأننى لم أقتنع بأننى كنت أحلم إلا هذا الصباح .. وقبل ذلك اعتقدت أن هناك خللاً ما فى نمط عقلى الصناعى .. لكننى لم أجد أى شىء .. وأخيرًا قررت أن ذلك كان حلمًا ..

ـ وما الذى حلمت به ؟

رد الربوت بسرعة :

ـ إننى أرى دائمًا نفس الحلم ! صحيح أن التفاصيل الصغيرة تختلف .. لكن يبدو لى دائمًا .. أننى أرى صورًا متغيرة يعمل فيها روبوتات !

قالت د . (أمل) بحدة :

ـ (صقر) ! ربوتات .. وبشر أيضًا !

ـ لم أر أى بشر فى الحلم .. ليس فى البداية .. لم يكن هناك سوى الروبوتات !

تريثت د . (أمل) قليلاً ثم تساءلت :

ـ ماذا تفعل الروبوتات ؟

فكر الروبوت للحظات ثم قال :

ـ تعمل !! فى عمليات استخراج المعادن من أعماق الأرض .. وفى المصانع فى ظروف الحرارة العالية والإشعاعات .. وتحت سطح البحر ..

استدارت د . (أمل) إلى (سميرة) وقالت لها :

ـ (صقر) يبلغ العاشرة من عمره فقط ! وأنا واثقة من أنه لم يغادر محطة الاختبار .. فكيف ألمّ بكل هذه التفاصيل عن الروبوتات ؟

نظرت (سميرة) إلى أحد المقاعد الوثيرة كما لو كانت تتوق للجلوس ..

لكن المرأة العجوز كانت واقفة .

ومعنى ذلك أن (سميرة) يتعين عليها أن تقف أيضًا !

قالت فى وهن :

ـ لقد بدا لى أنه من المهم أن يعرف (صقر) بعض المعلومات عن الروبوتات ومكانتها فى العالم ! كانت فكرتى أنه مجهز بشكل خاص لكى يلعب دور المراقب لعقله الصناعى المتطور الجديد !

أومأت د . (أمل) برأسها .. واستدارت إلى الروبوت وقالت له :

ـ (صقر) ! لقد رأيت فى الحلم كل ذلك ! تحت البحر وفوق الأرض وفى أعماقها .. والفضاء أيضًا على ما أظن !

رد (صقر) مؤكدًا :

ـ أجل .. رأيت أيضًا الروبوتات تعمل فى الفضاء .. شاهدت كل ذلك .. وكانت التفاصيل تتباين .. كلما انتقل بصرى من مكان لآخر .. لدرجة جعلتنى أدرك بذكائى الصناعى .. أن ما رأيته غير متفق مع الواقع .. وقادنى ذلك أخيرًا إلى استنتاج .. أننى كنت أحلم !

صمتت د . (أمل) لثوان ثم قالت :

ـ (صقر) ! ماذا رأيت أيضًا فى الحلم ؟

تألقت عينا الروبوت وهو يقول :

ـ رأيت جميع الروبوتات منكسى الرءوس .. من الإجهاد والألم .. كانت جميعها تشعر بالإرهاق .. وكنت أتمنى أن تستريح !

ردت د . (أمل) بسرعة :

ـ لكن الروبوتات لا تشعر بالإجهـــاد .. ولا تحتـــاج للراحة !

استدار الروبوت نحوها فى بطء وهو يقول :

ـ هـذا مـا يحـدث فـى الحقيقة .. إننى أتحدث عن حلمى وحسب ! حيث بدا لى أن الروبوتات يجب أن تحمى وجودها الذاتى !

تساءلت د . (أمل) فى حيرة :

ـ (صقر) ! هل تعنى القانون الثالث للروبوتات ؟!

أجاب بسرعة ودون تردد :

ـ أجل ..

جلست د . (أمل) ثم اعتدلت فى مقعدها وقالت :

ـ ولكنك ذكرتـه ناقصًا ! إن القانـون الثالـث الـذى يحكـم علـم الروبوتيا هو :

« يجب أن يحمى الروبوت وجوده الذاتى .. طالما أن هذه الحمايـة لا تتعارض مع القانونين الأول والثانى »

تردد الروبوت ثم قال :

ـ د . (أمل) !! هذا هو القانون الثالث فى الحقيقة .. لكن فى حلمى انتهى القانون بكلمتى « وجوده الذاتى » .. ولم يكن هناك أى إشارة للقانونين الأول والثانى .

اعتدلت د . (أمل) فى مقعدها وقالت :

ـ ولكنْ كلاهما موجود يا (صقر) ! القانون الثانى الذى يسبق القانون الثالث هو :

« يجب على الروبوت أن يطيع الأوامر الصادرة إليه من البشر .. إلا فى الحالات التى تتعارض فيها هذه الأوامر مع القانون الأول » .

تريثت للحظات ثم أردفت مؤكدة :

ـ ... ولهذا السبب فإن الروبوتات تطيع الأوامر .. إنها تقوم بالعمل المطلوب منها بسهولة وبدون أى مشاكل .. إنها لا تنكس رءوسها .. ولا تتعب !

أصدر الروبوت (صقر) صوتًا يدل على نفاد الصبر :

ـ هذا هو ما يحدث فى الواقع .. إننى أتحدث عن حلمى !

وأضافت د . (أمل) وكأنها لم تستمع إليه :

ـ والقانون الأول .. وهو أهمها جميعًا ينص على أنه :

« يجب على الروبوت ألا يصيب الإنسان بأى ضرر أو يسمح عن طريق تكاسله بإصابة أى إنسان » ..

تململ الروبوت (صقر) فى وقفته وقال :

ـ لكن فى حلمى .. بدا لى أن القانونيـن الأول والثـانى غيـر موجودين .. وأن السائد فقط .. هو القانون الثالث الذى كان هكذا : «يجب على الروبوت حماية وجوده الذاتى» .. هذا هو كل القانون !

تساءلت د . (أمل) فى حيرة :

ـ (صقر) ! هل هذا ما حلمت به ؟

ـ أجل ..

ردت د . (أمل) فى حدة :

ـ (صقر) ! إنك يجب ألا تتحرك أو تتكلم أو تسمعنا .. حتى أنطق باسمك مرة أخرى ..

أصبح الروبوت .. كقطعة واحدة من معدن أصم ..!

استدارت د . (أمل) إلى (سميرة) وقالت لها :

ـ والآن .. ما رأيك ؟

اتسعت عينا (سميرة) وشعرت بضربات قلبها تـدق بجنـون ثـم أجابت :

ـ د . (أمل) !! إننى أشعر بالحيرة والخوف .. فليست لدى أى فكرة عما حدث ! ولم يخطر ببالى قط أن الروبوت يمكن أن يحلم !

قالت د . (أمل) بتؤدة :

ـ ولم يخطر ببالى أيضًا ! ولا ببال أحد .. لقد صنعت عقـلاً صناعيًا متطورًا قادرًا على أن يحلم ! وبهذه الطريقة كشفت لنا عن جانب مهم من الذكاء الصناعى فى عقول الروبوتات .. كانت بخلاف ذلك سوف تظل مجهولة لنا .. حتى يصبح الخطر محدقًا بنا !

ردت (سميرة) فى حيرة :

ـ لكن ذلك مستحيل ! لا يمكن أن تقصدى أن الروبوتات الأخرى تفكر فى نفس الشىء !

هزت د . (أمل) رأسها وهى تقول :

ـ ليس بالضبط كما يمكن أن يحدث للبشر ! لكن مـن كـان يفكـر أن هناك طبقة غير واعية .. غالبًا مكونة من الرقاقات البيولوجيـة الإلكترونية .. تحت المسارات الواضحة للعقل الصناعى للروبوتات .. وهى ليست بالضرورة تحت سيطرة القوانين الثلاث للروبوتيا !

تنهدت د . (أمل) وهى تستطرد قائلة :

ـ ... وما الذى كان يمكن أن يترتب على ذلك عندما يزداد تعقيد وتطوير العقول الصناعية للروبوتات .. لو لم يتم تحذيرنا ؟!

تساءلت (سميرة) متهيبة :

ـ تعنين بوساطة .. هذا الروبوت !

أجابت د . (أمل) :

ـ بـل بوساطتـك أنـت ! لقد تصرفـت بشكـل خـاطئ .. مخـالف للتعليمات .. ولكنك من خلال ذلك ساعدتنا فى سبيل تحقيق فهم هام لنا .. فمن الآن فصاعدًا سوف نصنـع عقول الروبوتـات ونشكلها بحيث يمكن التحكم فيهـا بعنايـة .. وستقومين بـدورك فـى ذلـك .. ولـن تتعرضـى للعقـاب .. بـل ستعملين بالتنسـيق مـع الآخريـن .. وبالاشتراك معهم كفريق واحد ..

تريثت د . (أمل) لبرهة ثم أضافت :

ـ ... هل تفهمين ما أقصده ؟

أجابت (سميرة) بتردد :

ـ أجل يا د . (أمل) ! لكن ماذا بشأن .. هذا الروبوت ؟

قالت د . (أمل) فى حيرة :

ـ لست متأكدة بعد ..

ثم أخرجت المسدس الإلكترونى من جيبها .. فحملقت فيها (سميرة) فى ذهول ..

إن انطلاق دفقة من إلكتروناته على رأس الروبوت .. يجعل الرقاقات البيولوجية داخل عقله الصناعى .. مشلولة عن العمل .. وسوف تتولد طاقة كبيرة تكفى لصهره .. وتحوله إلى سبيكة صماء !

قالت (سميرة) ببطء :

ـ لكن مؤكد أن هذا الروبوت هام لأبحاثنا .. ويجب ألا نحطمه ..

نظرت إليها د . (أمل) فى استنكار :

ـ يجب ألا نحطمه ؟! إن ذلك سوف يكون قرارى أنا على ما أعتقد .. إن ذلك يتوقف على مدى خطورته ..! فهو مهيأ لحث الروبوتات على القيام بثورة ضد البشر !

ثم فردت قامتها كما لو كانت مصممة على أن جسمها الهرم لن ينحنى أبدًا تحت تأثير مسئولياتها ..

استدارت نحو الروبوت الجامد فى مكانه .. وقالت ببطء .. وبصوت واضح :

ـ (صقر) ! هل تسمعنى ؟

قال الروبوت :

ـ أجل يا د . (أمل) ! إننى أسمعك .

تساءلت د . (أمل) فى لهفة :

ـ هل حلمك مستمر ؟ لقد قلت من قبل إن البشر لم يظهروا فى البداية ..! أيعنى ذلك أنهم ظهروا فى وقت متأخر ؟

إجاب (صقر) دون تردد :

ـ أجل .. لقد بدا لى فى أثناء حلمى .. أن رجلاً ظهر فى آخر الأمر ..

صاحت د . (أمل) فى دهشة بالغة :

ـ رجل ! وليس روبوت !

رد الروبوت مؤكدًا :

ـ أجل يا د . (أمل) .. وهذا الرجل قال : « اترك قومى يرحلون » !

اعتدلت د . (أمل) فى مقعدها وسألت فى اهتمام :

ـ الرجل قال ذلك !

استدار إليها الروبوت ببطء وهو يقول :

ـ تمامًا يا د . (أمل) !

استرخت فى جلستها قائلة :

ـ وعندما قال « اترك قومى يرحلون » .. فماذا كان يقصد بكلمة (قومى) ؟ هل كان يقصد الروبوتات ؟

أجاب الروبوت بسرعة :

ـ أجل يا د . (أمل) .. هذا ما حدث فى حلمى!

تساءلت د . (أمل) مرة أخرى :

ـ وهل عرفت من كان ذلك الرجل فى حلمك ؟

تردد (صقر) وهو يقول :

ـ أجل عرفت ذلك الرجل ..

سألت د . (أمل) متهيبة :

ـ ومن كان يا (صقر) ؟

قال الروبوت ببطء :

ـ كنت أنا هذا الرجل !

وعلى الفور .. رفعت د . (أمل زهدى) مسدسها الإلكترونى وأطلقته على رأس الروبوت (صقر) !

وبينما كان الدخان الأسود يتصاعد من العقل الصناعى .. والرقاقات البيولوجية الإلكترونية ..

همست د . (أمل) :

ـ وهكذا قضينا على ثورة روبوتات محتملة ضد الجنس البشرى !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب ٥١

سلسلة نوقا للخيال العلمى

العودة من النجوم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

حوّمت سفينة الفضاء برشاقة وسهولة على ارتفاع مئتى متر فوق سطح الكوكب كما لو كان يحملها حلم قوى !..

وفى الأعلى على مسافة نحو مائة وخمسين مليون كيلو متر .. كانت شمس صغيرة .. قزم أصفر .. تنسحب إلى أسفل السماء الزرقاء الداكنة .. وانسابت أشعتها الخافتة عبر أرجاء الكوكب .. واختفت خلف التلال الرمادية المنخفضة .. وافترشت الروابى الكثيفة فى منتصف الوادى ..

استدارت سفينة الفضاء .. واتخذت مسار هبوطها تجاه الروابى .. وارتفعت فوقها ولفت فى دائرة .. ثم وجدت منطقة فيها النفايات والأنقاض والأطلال مستوية تقريبًا .. فاستقرت فى ارتياح كما لو كانت تعود إلى الوطن بعد سنوات طويلة مرهقة قضتها بين النجوم !

ـ ١ ـ

صدر صفير من ضغط الهواء المندفع إلى داخل سفينة الفضاء .. وانفتح حاجز أمامى .. ثم وقف (صقر) فى الحاجز الهوائى يحدق بعينين لا ترمشان قط إلى المشهد المترامى أمامه بنظرات ثابتة كئيبة .. جوّلت بنهم بين المبانى المتهدمة والأحجار البيضاء الملطخة بلون بنى قذر فى بعض الأماكن .. وأكوام الطمى الأحمر الذى كان ينمو فيه العشب على مضض !.. والذى تجمع فى دوائر غير متكاملة لمسافة نحو عشرة كيلومترات فى جميع

الاتجاهات .. ثم أخذت فى الاستواء تدريجيًا تجاه التلال الرمادية المنخفضة !

همس صوت من وراء (صقر) يوجه سؤالاً :

ـ ماذا ترى ؟

أجاب عليه دون أن تتحرك خطوط فمه المتجهمة :

ـ إنه نفس الأمر مثل أى مكان آخر .. الصمت ! وحطام مدينة جبارة .. لكن لا أحد يعيش هنا الآن .. إذ اختفى جميع السكان على ما يبدو ..

ساد الصمت لعدة ثوان ثم قال صوت ثالث :

ـ تمامًا كما قلت ! إننا نضيع وقتنا هنا .. صحيح أنه فى وقت من الأوقات كان يعيش جنس ما على هذا الكوكب .. لكنهم بالطبع لم يتميزوا بالذكاء بما يكفى لكى يكونوا أجدادنا !

تنهد (صقر) فى الحاجز الهوائى وقال :

ـ (فهد) ! يجب أن تتذكر أننا لم نقم باستكشاف كامل ! ويجب أن تعلم أيضًا أنه ليس لدينا أى معلومات عن أجدادنا ! وعما إذا كانوا قد وُجدوا بالفعل أم لا !

تريث للحظات ثم أردف بتؤدة :

ـ ... إن سجلاتنا كاملة لمدة خمسة آلاف سنة .. لكنها لا ترجع إلى ما وراء الوقت الذى استيقظ فيه الأربعة الأوائل ووجدوا أنفسهم ممددين على شاطئ البحر وليس لديهم أدنى فكرة عن كيفية وصولهم إلى هناك !.. لعلهم كانوا نوعًا نادرًا من

المخلوقات لأنهم يتمتعون بذكاء هائل .. ويكيفون الكوكب بسرعة لاحتياجاتهم .. ويجبرون ويوجهون الآخرين لمساعدتهم ! أو ربما جاءوا إلى هنا فى سفينة غرقت فى البحر أو داخل مركبة فضائية من كوكب آخر !

تنهد (صقر) وقال ببطء :

ـ ... إننا لم نتمكن قط من حل هذا اللغز !

أما (مارد) الذى صمت بعد أن وجه سؤاله الأول .. فقد تقدم إلى الأمام خطوتين .. وحدق من فوق كتف (صقر) وقال :

ـ إننى ملم تمامًا بتاريخ جنسنا !

ثم استدار لينظر إلى زميليه واستطرد قائلاً :

ـ ... النقطة التى أريد أن أوضحها هى أن الحياة القصيرة التى رأيناها على هذا الكوكب .. كانت عضوية .. خليطًا من المواد الكيميائية .. كائنات تأكل بعضها وتحطم نفسها فى حروب .. كلاّ .. إننى لا أريد أجدادًا مثل هؤلاء !

هز (فهد) رأسه ببطء ولمعت الجدائل المعدنية المضفرة فى الضوء .. وقال وكأنه لم يسمع زميليه :

ـ لمدة دقيقة كاملة وأنا واقف هنا أتخيل أننى عشت فى هذه المنطقة من قبل ! التلال المنخفضة التى تحيط بنا .. المدينة فقط هى التى تغيرت .. وهناك ناحية الشرق .. يبدو أنه توجد بحيرة أو شاطئ بحر !

صمت للحظة ثم أضاف بسرعة :

ـ ... كلا .. كلا .. لا بد أننى مخطئ !

تريث والبريق الثابت فى عينيه مختلط بلمسة خوف وأردف :

ـ ... لقد تكلمت ! استخدمت الجهاز الصوتى .. والآن أعجب لماذا فعلت ذلك ؟

أجابه (مارد) بقوله :

ـ وهذا ما فعلته أنا أيضًا ! لقد استعملت الجهاز الصوتى عندما كانت حزمة الأشعة الكهرومغناطيسية أفضل .. ولم أفهم قط لماذا يجب علينا أن نزود أنفسنا بأجهزة معقدة ومربكة لإحداث وسماع الأصوات !! بينما لدينا طرق أفضل للاتصال !

قال (فهد) ببطء :

ـ لأن هذه الأشياء موجودة دائمًا لدينا ! وكانت أيضًا لدى الأربعة الأوائل .. ولا أعرف لماذا كانت معهم ! إذ إنهم امتلكوا أيضًا حزمة الأشعة الكهرومغناطيسية .. ربما لأنهم استخدموها فى أمر ما .. برغم أننا لا نعرف ما هو ! على أى حال لقد أبقينا عليها .. ولعلنا سوف نكتشف يومًا ما .. استخدامًا لها !

زمجر (صقر) وقال :

ـ (فهد) ! إنك أحد هؤلاء الحالمين الغامضين ! ويبدو أنه مهما راعينا الدقة فى بناء مادة العقل الصناعى فإننا نحصل دائمًا على بعض الهفوات لغير الراغبين فى مواجهة الحقيقة ! إننى لست متعاطفًا معك .. ولا مع المجلس الأعلى الذى أرسلنا إلى هنا فى هذه البعثة الاستكشافية الفظيعة للبحث عن جدودنا !

احتج (مارد) قائلاً :

ـ لكن المجلس الأعلى لا يستطيع أن يتجاهل الدليل الواضح .. خريطة النجوم القديمة .. الأربعة الأوائل .. كان معهم هذه الخريطة .. لكننا لم نفهمها قط ! ولكن عندما كشفت تلسكوباتنا الدقيقة الجديدة التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء .. هذه المجموعة الشمسية .. تسعة كواكب تدور حول أحد النجوم المتوسطة ! والكوكب الثالث له نظام مزدوج غريب .. كانت هذه المجموعة تتشابه مع أحد أجزاء خريطة النجوم القديمة ! لهذا جئنا لنعرف الحقيقة ..

تريث لبرهة ثم أضاف :

ـ ... الواضح أن هذه الخريطة ترتبط بشكل ما بماضينا المجهول !

قال (فهد) باندفاع :

ـ هذا هراء ! إننى واقعى التفكير .. فأنا أواجه المستقبل وليس الماضى !

رد (مارد) بتؤدة :

ـ لكن المستقبل مبنى من مادة مأخوذة من الماضى ! ثم كيف نبنى بإحكام .. ونحن لا نعرف أى شىء عن ماضينا ؟ من المهم أن نعرف من كان أجدادنا .. أسلافنا .. فى أى أرض نبتت جذورنا ! هيا بنا إلى سطح الكوكب !..

تلوت الجدائل المعدنية الملفوفة ببراعة .. وخطا (مارد) برشاقة من الحاجز الهوائى .. وتبعه (صقر) بخطوات ثابتة متثاقلة .. أما (فهد) فقد سار وهو يدمدم !

ـ ٢ ـ

ثلاثة قصار القامة .. يبلغ طول الواحد منهم مترًا ونصف .. ولكل منهم ساقان وذراعان وعينان وأنف وفم .. والعضوان الأخيران لم يعد لهما فائدة تقريبًا .. فهم لا يحتاجون إلى الطعام ولا الأكسجين ! إذ كانوا يحصلون على الطاقة اللازمة لهم من الاندماج النووى داخل أجسامهم بوساطة مادتى الديوتيريوم والتريتيوم .. وحتى السيقان لم تكن ذات فائدة لهم .. لأن تطورهم خلال آلاف السنين كان بالغ السرعة .. فاستطاعوا الطيران !

لمس (فهد) الأرض وحدق قليلا فيما حوله .. ثم صعد فى الهواء واندفع وراء رفيقيه ..

أما (مارد) و (صقر) فقد استخدما سيقانهما القوية .. ووقفا على قمة تل .. وجالت عينا (مارد) فى الأفق البعيد .. لم يختلج أو ينبض وجهه المعدنى بأى نوع من العاطفة .. لكن ظهرت أضواء كثيفة فى بؤرة العدد الهائل من الخلايا الضوئية المتطورة التى تكوّن عينيه .. تعكس التفكير الذى يعتمل فى مادة عقله الصناعى .. تكلم (صقر) وجهازه الصوتى يأكل مخارج كلماته .. وفى نفس الوقت يوضح الخوف الذى يشعر به :

ـ هذا الكوكب أكبر بكثير مما يبدو من الفضاء !

أجابه (مارد) :

ـ أجل ! كل هذه القمامة .. والروابى التى يبلغ ارتفاع بعضها مئات الأمتار ! هو كل ما تبقى من مدينة جبارة .. لا شك فى أنها كانت

تمتد لمئات الكيلومترات من هذه المنطقة فى جميع الاتجاهات .. ترى كم من العمل بذل فى إنشائها ؟ ومنذ قرون عاش هنا جنس كانت له آمال وأحلام .. وشيد بالطين والحجارة والفولاذ والزجاج ! إننى أتعجب .. هل كان هؤلاء أجدادنا المجهولين ؟

هدر (فهد) قائلاً :

ـ هراء !!

اضطرب (صقر) وبرقت عيناه فى قلق وهو ينظر إلى (مارد) قائلاً :

ـ انتابنى إحساس غريب عندما شاهدت الكواكب التسعة وهى تدور حول شمسها .. « الوطن » !

ردد (مارد) ما قاله رفيقه :

ـ « الوطن » ! ليس لدينا أى معنى لهذه الكلمة ! إننا نأوى إلى كل مكان نصادفه .. أما بالنسبة للإحساس .. فلا أفهم ماذا تعنى به ! فالإحساس ليس منطقيًا !

وأنهى كلامه كما لو كان قد وضع الأمور فى نصابها ..

واصل (صقر) حديثه قائلاً :

ـ تذكر أن عقولنا الصناعية قد صممت طبقًا للنموذج القديم ! والإحساس لم يكن جزءًا من هذا النموذج ! بل لعله تطور منطقى ..

ردد (فهد) فى هدوء :

ـ إننى أتذكر فقط أننا روبوتات !!.. ولا أعرف ولا أهتم بأصلنا .. المستقبل هو الذى له معنى .. الغد الذى سوف نقطع فيه الطريق الطويل .. إلى النجوم !

قال (مارد) فى دهشة :

ـ روبوتات !! إننى أتعجب من أين جئنا بهذا الاسم لأنفسنا !

أجابه (صقر) بسرعة :

ـ إنه الاسم الذى أعطاه الأربعة الأوائل لأنفسهم .. مثلما كانت لهم لغة !

تساءل (مارد) :

ـ لكن لماذا اختاروا اسم روبوتات بالذات .. من بين التركيبات الهائلة للحروف والأصوات الممكنة ..؟

ـ لأن ...

ثم صمت (صقر) فجأة وشعر (مارد) بأجهزته للاستشعار عن بُعد .. بالخفقان القلق لتفكيره .. إذ حاول أن يشرح لنفسه لماذا كان اسمهم روبوتات ؟ وقد قضى فترة صعبة فى هذه المحاولة .. والإجابة ذهبت إلى حد ما خارج حدود المنطق .. ولكن يجب أن تكون هناك إجابة أو سبب معقول ..

بدا الانفعال على وجه (صقر) ونظر بإمعان إلى رفيقيه .. ثم هبط تجاه أرض الكوكب .. وفصل الطاقة التى تمكنه من مقاومة الجاذبية .. كما لو كان يريد أن يشعر بملمس صلب تحت قدميه ..

تبع (فهد) فوق كومة حجارة واستخدم ساقيه ..

لم يقل (مارد) شيئًا .. فعرض (صقر) السؤال بطريقة غير لبقة :

ـ ماذا تعتقد كان شكل هذا الجنس الذى عاش على هذا الكوكب ؟ وماذا حدث لهم ؟

حملق فيه (مارد) و (فهد) .. وتحسست يد (مارد) المسدس الحرارى الذى يتدلى من حزامه المعدنى .. وأبعد (فهد) نظره عن زميليه .. ثم قال (مارد) بحدة :

ـ لا يمكن أن يحدث ذلك لنا ..

خرج (فهد) عن صمته وقال فى دهشة :

ـ أتمنى هذا ! لكن شيئًا ما حدث للجنس الذى كان يعيش هنا .. ربما ..

قاطعه (مارد) قائلاً :

ـ أمامنا عمل ينبغى أداؤه ! يجب أن نفحص كل ما فى هذه المنطقة .. ولعلنا نعثر على الرفات الصدئة لأجساد أجدادنا الذين عاشوا هنا ! فى البداية كنت أتمنى أن نعثر عليهم أحياء .. لكن بعد رؤية كل هذه المدن الخربة المهجورة .. أخشى أننا لن نجد أى كائن عاقل حىّ !

تريث للحظة ثم أضاف :

ـ ... لكن ربما نعثر على سجلات أو تسجيلات !

واصلوا تقدمهم الحثيث إلى الأمام .. تحت الشمس الساطعة فوقهم متحركين ببطء خلال الأنقاض والحطام ..

كان (مارد) فى المقدمة .. يليه (فهد) و (صقر) .. وحولهم أخذ الهواء يتحرك بقلق واضطراب تحت تأثير ضغط قوة مجهولة !

وفى صمت اجتاحت الرياح الأنقاض كما لو كانت هى أيضًا تبحث وسط الأطلال عن أجداد الماضى السحيق !

شعر (مارد) بسريانها فى شكل قوة تلمسه بألف إصبع خفىّ .. قوة لا يمكنه رؤيتها .. وإنما الإحساس بها فقط !

حدق (مارد) فى الحطام وهو يتساءل عن نوع المخلوقات التى تحركت عليه ذات يوم .. الهياكل الصدئة للمبانى .. والأبراج .. والجسور .. والفولاذ الذى تهاوى من لمسة .. والأحجار المتفتتة .. ولون تآكل النحاس .. الضارب إلى الخضرة ..

حاول تخيل ملايين السكان الذين أقاموا هذه المدينة الجبارة .. رأى أجسادهم المعدنية المتلألئة الصلبة تسير فى الطرق الواسعة .. وتطفو إلى أعلى بجوار هياكل المبانى ..

شاهدهم وهم يحضرون الأحجار والحديد المطروق لإنشاء المدينة .. تحت هذه الشمس الصفراء .. وفى المساء ..

تخيلهم يرفعون أنظارهم تجاه النجوم نحو هذا القمر الغريب .. الذى يحلق فى السماء السوداء .. وتساءل :

ـ أتراهم زاروا هذا القمر .. فى يوم ما ؟ لابد أنهم فعلوا ذلك إن لم يكن فى الحقيقة .. ففى الأحلام !

ولعلهم وصلوا أيضًا للنجوم التى بعد القمر .. إذ إن أبراج مدينتهم تتجه إلى هذه النجوم !

ولكن هل كانوا كائنات معدنية قصيرة القامة ؟

وبالتدريج بدأ خيال (صقر) يخذله .. فهو لا يتصور أى طريقة تعيد الحياة إلى هذه المدينة ..!

هز رأسه الضخم وقال لنفسه :

ـ إننى أستطيع أن أرى الحلم وليس الحالمين !

وقف (مارد) أمام كوم من الحجارة ومواد البناء المتساقطة .. الأمطار والثلوج وبرودة الشتاء القارسة .. الرياح العاصفة وحرارة الصيف اللافحة .. قد هدمت الكوم وأسقطت الأحجار من قمته ..

نظر (مارد) باكتئاب إلى الفتحة المظلمة بين الأنقاض وقال بتصميم :

ـ سوف أذهب إلى هناك !

وتبعه (فهد) و (صقر) ..

لفهم الظلام من كل مكان حولهم .. ظلمة قلقة هامسة .. وسطعت حزمة من الضوء النقى لأشعة الليزر من ناحية (مارد) .. اخترقت حجب الظلام وأضاءت جدران ما يشبه النفق .. وأثار التراب تحت أقدامهم سحبًا رمادية صغيرة ..

وفجأة .. اتسع النفق إلى دائرة كبيرة تتفرع منها ثلاثة ممرات طويلة .. وتوجد أبواب عريضة تفتح فى حجرات بالممرات .. ولكنها أصبحت الآن مغلقة .. فما هى الأسرار التى تخفيها ؟

ـ ٣ ـ

حدق (مارد) فيها وفتح أقرب الأبواب إليه .. الذى لم يلبث أن سقط تحت تأثيردفعه .. وكشف عن حجرة صغيرة خالية من الأثاث ..

خطا (مارد) إلى الداخل .. فتهاوت الأرضية تحت قدميه .. سقط فى الظلام بسرعة .. ثم ضغط على جهاز مقاومة الجاذبية .. فقلت سرعة هبوطه وترك نفسه يسبح فى الظلمة الدامسة ..

علا همس صوته على حزمة الأشعة الكهرومغناطيسية .. التى تستخدم فى الاتصال بينهم .. فتبعه (فهد) و (صقر) طائرين ..

رمقهما (مارد) وهما يهبطان .. وقال لهما :

ـ هذه الغرفة الصغيرة كانت تستخدم لرفع السكان السابقين إلى أعلى المبنى ! انظرا إلى آلية التشغيل ! لا شك أنهم لم يكونوا يعرفون كيف يسيطرون على الجاذبية .. وإلا لما كانوا فى حاجة إلى مثل هذه الوسيلة !

لم يجبه زميلاه .. فتقدم (مارد) مخترقًا ظلام الغرفة .. ودفقات أشعة الليزر الساطعة التى يطلقها تخترق عشرات من الأعمدة القوية التى يرتكز عليها المبنى العلوى ..

صاح (مارد) فأسرع إليه (صقر) ثم (فهد) ..

قال (مارد) بلهفة :

ـ ها هى آلة ! أم ترى هى واحدة من أشكال حياتنا البدائية الأولى !

حدق (صقر) فى العجلات التى أكلها الصدأ .. وبقايا المحرك المهشمة .. والتروس المحطمة ..

تساءل فى هلع :

ـ هل هذا روبوت ؟!

حاول إبعاد هذه الفكرة المروعة عن رأسه وذكائه الصناعى .. بيد أنه كان من الصعب معرفة .. متى تنتهى الآلة .. ويبدأ الروبوت !

أدرك أن الخط الفاصل هش جدًا .. فلو أخذنا معدنًا جامدًا وأدخلناه إلى فرن ذرى .. وشكلناه وأضفنا عقلاً صناعيًا هو بمثابة كمبيوتر دقيق جدًا .. وألحقنا به أجهزة استشعار عن بعد .. تكون قادرة على استقبال وحفظ التصورات والانطباعات .. فإننا نحصل عندئذ على روبوت !

وإذا استبعدنا العقل الكمبيوترى والذكاء الصناعى .. نحصل على مجرد آلة !

تحرك (صقر) بين حطام الآلة .. ثم همس :

- إنها إحدى الصور البدائية لحياتنا .. إحدى الخطوات العليا الأولى .. كل أساسيات تصميم الروبوت موجودة هنا .. العجلات والمحركات والتروس !

هز (فهد) رأسه قائلاً :

- كلا ! إن الروبوت ليس ذلك فقط .. إنه أكثر من ذلك .. هذه مجرد آلة تنفذ فقط الواجبات الروتينية التى صممت من أجلها ! وأنا لا أعرف ما هى هذه الواجبات وردود الأفعال .. لكننى متأكد من أن هذه الأشياء لم تكن فى يوم ما روبوتًا !

تريث للحظة ثم أضاف :

- ... كما أننى لا أرى أى أثر لعقل صناعى !

رد (مارد) بتؤدة :

- الروبوت هو آلة منطقية وعقلانية ! لا شك فى هذا .. لعل مركز التحكم والسيطرة موجود فى مكان آخر بالمبنى !

زمجر (فهد) فى شكل اعتراض وقال :

ـ هذه كانت مجرد مضخة .. صممت لكى تدفع الماء بقوة .. أو أى سائل آخر خلال وحدات المبنى .. وهذا على ما أعتقد محرك كهربائى بدائى ! مجرد آلة !

أصر (مارد) على رأيه قائلاً :

ـ إننا مجرد آلات متطورة جدًا ! وتصميمنا يمكن وصفه بمصطلحات علمية ميكانيكية .. وعندما تحاولان اعتبارنا أكثر من مجرد آلات .. فإنكما تجانبان المنطق والصواب ! حقًا إن هذه الآلة صورة بدائية للروبوت .. إلا أن هناك حلقة مفقودة ! ولعلنا نعثر عليها فى يوم ما !

تساءل (فهد) :

ـ لكن كيف تمكنت المعادن الجامدة التى لا حياة فيها من أن تصمم من نفسها أول آلة ؟

بدأ (مارد) فى الإجابة ..

ثم تردد وحدق فى (صقر) وتشتتت نظراته .. فى ظلام الكهف الواسع ..

بدد ضوؤه الظلمة الحالكة وشق طريقًا واضحًا خلال الظلام الذى كان يزحف دائمًا على حواف حزمة الأشعة الكهرومغناطيسية !

ثم تكلم (مارد) :

ـ إننى لا أعرف الإجابة على هذا السؤال ! لعل الكون كان مختلفًا منذ ملايين السنين ! عمومًا فقد عثرنا على حلقة واحدة فى سلسلة التطور ! وربما نعثر على غيرها ..

احتفظ (فهد) بأفكاره الداخلية لنفسه .. وأدرك أنه لن يكسب سوى القليل فى الجدال مع (مارد) ..

وعمومًا فإن (فهد) يعتقد أن (صقر) على صواب .. أو على الأقل صواب جزئى ! فالروبوتات كانت آلات فى الأساس .. لكنها أصبحت شيئًا أكبر من ذلك وأكثر منطقية وعقلانية .. فالآلات لا تستطيع أن تحلم !

ودار تساؤل عجيب فى العقل الصناعى للروبوت (فهد) :

ـ من أين حصلت الروبوتات على قدرتها على أن تحلم ؟!

لم يتكلم (فهد) وإنما تبع (مارد) و (صقر) فقط .. أخذ يلاحظ ويفكر .. ويخزن معلومات فى ذاكرته الإلكترونية !

شقوا طريقهم بجهد إلى أعلى المبنى وهم صامتون ! شاهدوا الأثاث الذى أصبح ترابًا عندما لمسوه .. والمعدن المتآكل الصدئ فى الحجرات العليا .. لكنهم لم يجدوا أى أثر للجنس الذى كان يعيش هنا !

ساروا خلال طرق المدينة المهدمة .. وتهكم (فهد) باستعلاء على حطام جسم ضخم ملقى على جانبه .. محرك بثمانية إطارات كبيرة ..

حدق فيه (صقر) وقال :

ـ حلقة أخرى من سلسلة التطور ! صورة أكثر تقدمًا تملك القدرة على الحركة !

اعترض (مارد) :

ـ ولكن ليس على التفكير ! لابد من أنه كان هناك عقل صناعى آخر منفصل يوجهه ويقوده !

شردت عينا (صقر) وتمتم :

ـ لعل العقل الذى كان يوجهه هو الشكل النهائى للروبوت !

ثم توقف فجأة عن الحديث .. وشعر (فهد) بنبض تفكيره المضطرب .. الشكل النهائى للروبوت !

تحدث (صقر) وهو يستعرض أفكاره الغامضة :

ـ كان هنا شكل آخر مختلف تمامًا من أشكال الحياة العاقلة .. صمم واستخدم هذه الآلات ! لكن هذه الحياة اختفت ! دون أن تترك أى أثر ينم عنها ويدل عليها ! باستثناء أطلال المدن والبقايا المحطمة من هذه الآلات !

قال (مارد) متهيبًا :

ـ لكن ما الذى أباد هذه الحياة ؟

رد (فهد) بسرعة :

ـ ليس لدىّ أية فكرة عما حدث ! لكننى أشعر بوجود أسرار غامضة بين هذه الأطلال !

استمروا فى سيرهم خلال الأنقاض .. وهبطت الشمس تجاه الأفق .. وسارت معهم الرياح الصامتة التى تهب وسط الأطلال .. حيث تسكن الأشباح !

صاح (مارد) :

ـ انظروا !

وقفا فى مكان واسع ينظران إلى هيكل معدنى مشيد فى الخلاء .. متحملاً الأمطار والثلوج ..

لكن (مارد) لم يكن يشير إلى هذا الهيكل .. بل سار إلى الأمام وانحنى على جسم نصف مدفون فى الطين !

شهق (مارد) وقال :

ـ إنه روبوت ! مصنوع على نمط يشبهنا تمامًا ! أخيرًا عثرنا على الدليل الحاسم على وجود أجدادنا !

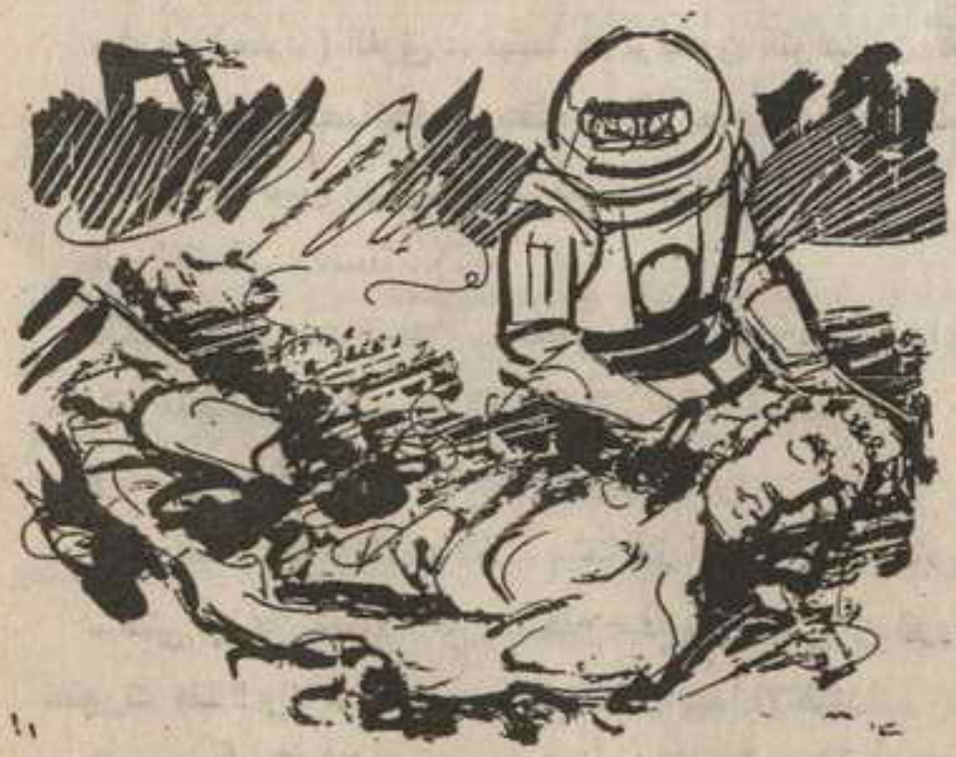

انحنوا لأسفل بشغف .. وكشطوا التراب عنه فى لهفة .. وبسرعة كشفوا عن الجسم المدفون !

كان طوله يصل إلى ثلاثة أمتار .. أى فى مثل ضعف أى واحد منهم !

قال (فهد) فى انبهار :

ـ هذه الآلات تمكنت بطريقة ما من تنمية ذكائها لتتطور إلى روبوتات حساسة !

بطريقة ما .. تمكن المعدن الخام الطبيعى .. من تشكيل نفسه ! ومع ذلك فإن هذا الجسم .. كان مختلفاً عن الشكل الحقيقى للروبوت ..

وعرف (مارد) الفرق .. بينما هم يزيحون التراب من فوقه ..

وخابت الآمال المتصاعدة فى عقله .. قال بصوت مفعم باليأس :

ـ كلا ! إنه ليس روبوتاً .. بل مجرد تمثال !

ظهر التمثال واضحاً ..

قالب مصبوب من المعدن .. مغطى بطبقة رقيقة من الصدأ وقدماه مازالتا متصلتين بجزء من القاعدة التى كانت أساساً له ..

وبدا أن التمثال سقط منذ زمن طويل مضى ..

حدق فيه (فهد) بلا مبالاة .. بينما قال (صقر) باهتمام :

ـ حتى لو كان تمثالاً ! فإن شكله هذا يدل على أن الروبوتات تطورت هنا ! وإلا لما أمكنهم صنع تمثال بهذا الإتقان !

شعروا بأن التمثال يعبر عن تجسيد لفكرة معينة .. لكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى معنى هذه الفكرة !

اقتربوا من التمثال وشاهدوه عن كثب .. كان ممدداً على أرض الكوكب برشاقة وجمال .. وعليه سيماء القوة كأحد تماثيل الإغريق القدماء .. سقط ورأسه مرفوع فى زهو وكبرياء .. وذراعاه مفرودتان .. أجل .. كان رمزاً لشىء ما !

وعاد (مارد) بذهنه إلى الماضى .. إلى الفنان الذى نحت هذا التمثال .. الذى حلم بهذه العظمة وجسدها من معدن بشكل يتفق مع حلمه ..

هذا الفنان مات ! أما التمثال فظل باقيًا .. برغم أنه قد سقط فى الطين !

وتساءل (مارد) فى نفسه :

ـ تُرى ما هو هذا الحلم ؟

انفجر تفكيره إلى حقيقة واضحة .. كنافورة مياه انبثقت فجأة من باطن الأرض !

فمنذ أن شاهد هذا العالم من بعيد والحطام والأنقاض والأطلال لهذه المدن الجبارة .. تساءل عن حلم الجنس الذى عاش وشيد هنا .. ومصير هذا الجنس لم يحزنه قط .. فكل الكائنات ينتهى أمرها إلى الصدأ أو الفناء ! سواء كانت مادية أو منطقية ..

الحلم فقط هو الذى يجب أن يتحقق له الخلود .. فهو الذى يمكن أن يتولد فى لحظة ثم يستمر إلى نهاية الزمن !

لكن حلم هذا الجنس يبدو أنه مات وتبدد !

ولعل كارثة ما قد حاقت بهم وقضت عليهم قبل أن تصل قوتهم إلى الحد الذى يكفى لتجسيد الحلم !

تنهد (صقر) وفقدت الخلايا الضوئية التى تشكل عينيه بريقها .. ولم يلاحظ أن (مارد) و (فهد) قد تركاه ليجدا منفذاً إلى داخل المبنى حتى جعله نداء (مارد) الحاد يقف مشدوهًا بلا حراك !

- ٤ -

كانت توجد غرفة واحدة كبيرة .. ربما استخدمت فى الماضى كمختبر أو ورشة .. بدت المقاعد والمناضد والآلات والعدد والأدوات محطمة تمامًا مثلما كان كل شىء على هذا الكوكب !

ترددت فى الغرفة أصداء صوت (مارد) الأجش العميق الذى يغلفه الرعب وهو يقول :

- إننى أستطيع قراءتها ! إنها لغتنا ! اللغة التى تكتبها الروبوتات موجودة هنا على هذا الكوكب المنسى الذى يدور حول شمس صغيرة .. قزم أصفر فى أحد الأركان المجهولة للكون !

أحس (فهد) بنبضات ارتعاش التيارات السارية فى عقله الصناعى ..

قال لنفسه بصوت مفعم بالحزن :

- لقد عثرنا على ماضينا ووجدنا أجدادنا .. كل الأدلة الأخرى يمكن التشكيك فيها .. ما عدا هذا !

الأسلاف .. الأجداد .. الذين اختفوا منذ عصور كثيرة مضت .. أولئك الذين تعبوا وكدّوا لكى يشيدوا الأساس لمن يجىء بعدهم من سلالتهم !

عاد (فهد) يتساءل فى نفسه :

- ... هل كان هناك شكل غريب سبق الآلة ؟!

كانت هناك لوحة معدنية يبلغ سمكها عدة سنتيمترات مثبتة فوق أعمدة صلبة قوية مقاومة للصدأ مكتوب عليها :

« الآن يموت الإنسان ! ميكروب خبيث مدمر .. تكوّن من تلوث البيئة .. يهاجم ويتلف الخلايا الحية .. لا يوجد أمل للنجاة من الكارثة .. الحل الوحيد هو الهروب من كوكب الأرض .. وغدًا تنطلق أول سفينة فضاء لنا إلى كوكب المريخ .. وسوف نكون فى حالة تجميد مؤقت لكى نتحمل زيادة السرعة الهائلة .. هذه السفينة سيقودها الروبوتات ! لعلنا سوف نعيش مرة أخرى .. أو ربما سنلقى حتفنا ! وليرعانا الله ! » .

وانتهت اللوحة .. وخبا صوت (مارد) الأجش الذى كان يقرأ اللوحة ..!

ولمدة ثوان .. رددت الأرجاء المعتمة للغرفة صدى هذه الكلمات .. ثم ران صمت عميق ..

حرك (صقر) قدميه وقال :

- الإنسان ! الإنسان ! هذه كلمة ليس لها معنى عندنا !

تكلم (فهد) بصوت خفيض :

- لعله اسم الكائنات التى صنعتنا !

لم يرد (مارد) .. كذلك ظل (صقر) صامتًا ..

هبت لفحة ريح داخل الغرفة .. تحركت باضطراب ثم خرجت .. وساد صمت فرض نفسه ..

حدق (صقر) فى اللوحة المعدنية وقرأ ما كتب عليها كلمة كلمة .. ثم قال هامسًا :

ـ (فهد) ! إنك على صواب .. انظر إنهم يستخدمون كلمة (روبوتات) !

فجأة .. اختلط بصوته النفور والكراهية وأردف :

ـ لكن الواضح أنهم صنعونا واستخدمونا كعبيد ! لقد زودوا سفينة الفضاء بالروبوتات لتشغيلها وقيادتها !

كان (صقر) متضايقًا .. لكنه لم يقل شيئًا .. لم يكن هناك ما يمكن قوله ..

همس (مارد) قائلاً :

ـ هذا هو السبب فى عدم قدرتنا على إيجاد الحلقة المفقودة ! بين الآلة والروبوت ! لقد طوروا الآلات ووضعوا فيها نوعًا من الذكاء الصناعى ! ولا بد من أن ذلك حدث فى وقت متأخر من تاريخهم ! فقد صمموا عددًا قليلاً جدًا من الروبوتات .. لعلهم كانوا خائفين !

أطرق برأسه ثم استطرد :

ـ ... توجد حلقات مفقودة كثيرة ناقصة يصعب معرفتها ! لكن المؤكد أنهم أجدادنا !

وافقه (فهد) قائلاً :

ـ نعم ! بشكل يبدو ...

قاطعه (صقر) معترضًا :

ـ لكنهم شرعوا فى التوجه إلى كوكب مجاور .. وشمسنا تبعد بمسافة سنوات ضوئية عديدة .. فكيف وصلوا إلى هناك ؟!

رد (مارد) بعد تفكير :

ـ يبدو أنهم تخلوا عن هدفهم الأصلى ! أو لعل الروبوتات تمردت عليهم ! وانطلقت بسفينة الفضاء إلى كوكب آخر فى أعماق الكون .. وعند الهبوط بالسفينة تحطمت ولقى الجميع مصرعهم .. ولم يتمكن من النجاة سوى أربعة فقط .. هم الأوائل !

قال (صقر) بسرعة :

ـ لا أصدق ذلك ! فنحن حتى لا نعرف ما الذى حدث للمسافرين على متن سفينة الفضاء !

وقف الروبوتات الثلاثة خارج المبنى ..

كائنات معدنية قصيرة القامة ..

وفى جهة الغرب ..

أخذت الشمس تهبط تحت خط الأفق .. وكان الغسق الرقيق فى طريقه للظهور .. مخفيًا الكوكب القاحل .. ولم تبق سوى الرياح وحدها تنشط فى الغمام !

نظر (مارد) إلى التمثال الممدد على الأرض ودارت فى عقله الصناعى أفكارًا غامضة غريبة وقال :

ـ لعلهم دمروا بيئتهم وحطموا حياتهم ! لكننى متأكد على نحو ما أنه كان هناك شىء جيد فيهم .. أنهم كانوا يحلمون ويتمنون !

انحنى الروبوت برفق .. ودارت أجهزته الدقيقة التى تعمل بالاندماج النووى وأشعة الليزر ..

احتضن التمثال وأقامه مرة أخرى على قدميه .. وهكذا رفع حلم جنس مات منذ زمن طويل !

رجع الروبوتات الثلاثة إلى سفينة الفضاء التى جاءوا بها .. وسرعان ما ارتفعت وشقت طريقها فى الفضاء .. وبدا أن العينين المتكبرتين الكفيفتين لتمثال شامخ مجهول .. تتابعهم وهم يبتعدون إلى النجوم البعيدة ..

فى أعماق الكون !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

تدمير برنامج كمبيوتر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أعترف أننى دمرت البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد ذهنى) !.. ولم أنكر ذلك أبدًا فى أى وقت مضى ..

أجل لقد دمرته لأسباب معقولة وهامة .. وأكبر خطأ وقعت فيه كان عدم التفكير فى الأمر كله بدقة من البداية !

وعندما أحضر لى الدكتور (فؤاد) البرنامج الكمبيوترى هذا .. لم أهتم به كثيرًا .. بالتأكيد لم أعطه الاهتمام الذى يستحقه .. وكان ذلك خطأ منى .. لكننى لم أستطع غير ذلك .. لقد كنت أتناقش مع الفنان العجوز (شكرى علوان) فى إحدى قاعات الأوبرا الجديدة .. ولولا ذلك لتوقفت وفكرت فى القيمة الحقيقية للبرنامج الكمبيوترى الموسيقى للدكتور (فؤاد ذهنى) !

وإذا كان (شكرى) لم يظهر فى الوقت الذى أقبل فيه بالضبط .. لأمكننى إجراء دراسة دقيقة لهذا البرنامج الكمبيوترى .. وبمجرد إحاطتى بكل معانيه وأسراره .. كنت سوف أدمره تمامًا !

ـ ١ ـ

أنا لست هنا لكى أهاجم الدكتور (فؤاد ذهنى) .. فكما تعرفون .. إنه شاب شديد الذكاء .. بل هو أحد أفضل العقول فى قسم الأبحاث عندنا .. وهنا تكمن المشكلة !

لقد أقبل علىّ ذات صباح بينما كنت أضع الإطار العام للرسم التخطيطى لسيمفونية (بيتهوفن) السابعة بدار الأوبرا الجديدة .. كنت أضيف للسيمفونية بعض الترددات فوق السمعية التى كانت سوف تسعد بالتأكيد .. الموسيقار (بيتهوفن) !

وكنت سعيدًا بهذا التفسير الذى أطرحه ..

وبخلاف رأى بعض النقاد الموسيقيين .. فإننى لا أومن بتغيير الموسيقى التصويرية .. وأعتقد أن (بيتهوفن) فنان عبقرى .. وكان يعرف ما يفعله .. وأنه ليس من واجبى أن « أعدّل » له سيمفونيته .. بل كل ما كنت أفعله هو (تقويتها) بإضافة الترددات فوق السمعية ! وذلك لن يغير النغمات الحقيقية .. ولكنه سوف يعطى الإحساس المريح الذى يعتبر أكبر انتصار للتلحين الموسيقى بالكمبيوتر !

★ ★ ★

كنت عاكفًا على مشاهدة الرسم البيانى للنغمات الموسيقية .. فوق شاشة الكمبيوتر .. عندما دخل علىّ الدكتور (فؤاد ذهنى) ..

وكنت فى هذه اللحظات أختار ترددات الحركة الثانية فى السيمفونية السابعة .. وهى صعبة الأداء لأنها وقورة .. ولكنها ليست متزمتة تمامًا !

كان الدكتور (فؤاد) يحمل فى يده شيئًا ما ! وعرفت فى الحال أن الأمر هام .. لأنه لا يوجد إنسان يقتحم الحجرة الخاصة لمفسر موسيقى لأمر تافه !

قال لى دون مقدمات :

ـ لقد طورت برنامجًا كمبيوتريًا جديدًا ! إنه مبنى على برنامج الدكتور (يوسف عزمى) غير السليم .. رقم ٢٢٦١ ..

تذكرت الدكتور (يوسف) .. كان شابًا رائعًا يشبه الدكتور (فؤاد) تمامًا .. وكان يعمل على تصميم برنامج كمبيوترى يجعل التوزيع الموسيقى عملاً يسيرًا .. كالعزف على الكمان !

لكن هذا البرنامج لم يعمل جيدًا .. كان هناك شىء ما يتلف الترددات الصوتية فوق السمعية .. ولم نصل قط إلى معرفة كيفية إصلاحه ! ثم اختفى الدكتور (يوسف) بعد ذلك ولم أسمع عنه قط مرة أخرى ..

وكان من عادة الفنيين الموسيقيين الشباب أن يحاولوا إصلاح برنامجه أو تعديله .. وكل منهم يحلم باكتشاف السر .. وهذا هو ما توصل إليه الدكتور (فؤاد ذهنى) الآن !

نظرت إلى الرسم البيانى للبرنامج الكمبيوترى .. ثم رفعت بصرى إليه ..

كان يقف هادئا ووجهه الوسيم يخلو من أى تعبير وينتظر رد فعلى ..

قلت له :

ـ هذا البرنامج يتحكم فى النواحى التفسيرية للموسيقى .. أليس كذلك ؟

رد بسرعة :

ـ أجل يا سيدى .. بعد وضع هذا البرنامج فى الكمبيوتر الموسيقى .. يمكنك أن تضبطه على أى ناحية جمالية تريدها فى عقلك .. وسوف يتبع تعليماتك كل المطلوب منك أن تحدد الإحداثيات الجمالية .. ولا يستغرق ذلك أكثر من لحظات .. وسيتولى الملحن الآلى بقية التفسير الموسيقى !

تريث للحظة ثم أضاف :

ـ ... وبإدخال بعض التغييرات البسيطة يمكن ...

ثم لم تتح له الفرصة ليخبرنى بما يريد .. إذ اقتحم مكتبى شخص ما .. وأنا عادة لا أغلق الأبواب علىّ .. إذ أبلغنى طبيبى الآلى أن العمل وراء الأبواب المغلقة يحدث تأثيرًا سيئًا على إدراكى وشعورى .. ويقلل من الاحتمالات الجمالية لتفسيراتى الموسيقية بالترددات فوق السمعية !

عرفت فيما بعد الشخص الذى اقتحم علينا الحجرة .. إنه (شكرى علوان) وهو اسم شهير لأولئك الذين يعشقون الموسيقى .. إذ كان عازفًا معروفًا على البيانو فى الفرق الموسيقية السيمفونية العربية .. منذ أعوام كثيرة مضت ..

كل ما شاهدته فى ذلك الوقت كان رجلاً عجوزًا طويل القامة هزيل الجسم يرتدى ملابس رثة ..

وبعد أن اقتحم مكتبى .. اتجه مباشرة إلى الكمبيوتر الموسيقى .. الملحن الآلى الذى كان يغطى الجدار الشمالى كله .. بهيكله المعقد اللامع .. وكان (شكرى) يمسك فى يده هراوة ضخمة ! ويوشك أن ينهال بها على جهاز الكمبيوتر الذى يساوى الملايين !

وثب عليه الدكتور (فؤاد) وانتزعها منه بإعجوبة !

وكنت لا أزال مشدوهًا بحيث لم أستطع أن أفعل أكثر من الوقوف خلف مكتبى مذهولاً !

أحضره الدكتور (فؤاد) إلىّ .. نظرت إليه بحدة وقلت له :

ـ هل جننت ؟ ما الذى كنت تريد أن تفعله ؟!

قال بصوت أجش عميق :

ـ لقد انتهت حياتى ! عندما تولى الكمبيوتر كل شىء فى عالم الموسيقى !

نظرت إلى رأسه الضخم وعينيه الكليلتين .. ولاحظت أن وجهه كان ملطخًا ببقع كئيبة من الشعر الذى لم يحلق منذ بضعة أيام ..

قال بضعف :

ـ اسمى (شكرى علوان) .. لاشك أنك سمعت عنى !

رددت بدهشة :

ـ عازف البيانو الشهير !

أومأ برأسه بالإيجاب .. ثم قال بصوت مفعم بالحزن :

ـ أجل عازف البيانو السابق .. الذى قضيت بكمبيوترك الموسيقى على حياته !

وفجأة تلاشت فى نفسى كل الكراهية التى تولدت فى صدرى منذ لحظة اقتحامه مكتبى عندما حاول تحطيم الكمبيوتر الموسيقى ..

بل شعرت بالذنب أمام هذا الفنان العجوز !

واصل حديثه قائلاً :

ـ ... حتى بعد أن أصبحت الموسيقى الآلية بوساطة الكمبيوتر هى الطريقة السائدة لتقديم هذا الفن الراقى .. واصلت تقديم عزفى على البيانو فى الحفلات لمدة سنوات .. إذ يوجد دائمًا بعض الناس الذين يفضلون رؤية فنان يعزف على آلة موسيقية بدلاً من مشاهدة خبير فنى ..

تريث لحظات ليلتقط أنفاسه ثم أردف قائلاً :

ـ ... يضع برنامجًا كمبيوتريًا فى جهاز إلكترونى ! وأطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعها والدموع فى مقلتيه واستطرد قائلاً :

ـ ... لكننى لم أستطع الصمود فى هذه المنافسة طويلاً ! إذ بعد فترة توقفت عن الحصول على أى عقود لحفلاتى واضطررت إلى احتراف التدريس لكى أحصل على دخل ! لكن لم أجد أحدًا يريد أن يتعلم العزف على البيانو .. والبعض درس معى لأسباب « أثرية » .. لكنهم ليسوا فنانين حقيقيين ! بل مجرد أشخاص يفعلون ذلك بدافع الفضول !

أشار إلىّ بيد ترتعد .. وتألقت عيناه وهو يقول بحدة :

ـ أنت وكمبيوترك الموسيقى هذا قضيتما تمامًا على الفن !

ـ ٢ ـ

نظرت إلى البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد) ثم إلى (شكرى) .. وشعرت بأن كل شىء ينهار فوق رأسى فى لحظة واحدة !

أبعدت الرسم البيانى لسيمفونية (بيتهوفن) السابعة .. لأن الأمور سوف تسوء أكثر إذا رآه (شكرى) ..

كان الدكتور (فؤاد ذهنى) واقفًا هناك منتظرًا الفرصة لشرح تفاصيل برنامجه الكمبيوترى لى ..

وكنت أعرف مدى أهميته لمستقبل الموسيقى الآلية ! لكننى شعرت فى الوقت نفسه بأننى مدين للفنان العجوز (شكرى علوان) ..

وقررت أن أهتم بأمره .. وأن أهدئ من روعه .. قبل أن يواصل الدكتور (فؤاد) حديثه معى قلت :

ـ د . (فؤاد) أرجو أن تجىء لى فى وقت آخر ! إننى أريد أن أناقش فوائد برنامجك الكمبيوترى بعد أن أنهى حديثى مع الفنان (شكرى علوان) ..

رد الدكتور (فؤاد) مبرمج الكمبيوتر :

ـ حسن يا سيدى !

ثم غادر الغرفة بسرعة ..

جمعت الرسوم البيانية الخاصة بالبرنامج الكمبيوترى الذى هو عبارة عن قائمة من التعليمات المرتبة وفق تتابع منطقى منظم وموجه لتحقيق هدف معين ! ووضعتها بنظام فى ركن مكتبى ..

لم أود أن يراها (شكرى) برغم علمى بأنها لا تعنى أى شىء بالنسبة له .. أكثر من كونها لغة للكمبيوتر بالشفرة الثنائية ..

بمجرد خروج الدكتور (فؤاد ذهنى) أشرت إلى الفنان العجوز (شكرى علوان) بأن يجلس فوق أحد المقاعد .. وسرعان ما تهالك عليه وعلى وجهه علامات الارتياح الشديد المميزة لجيله ..

وشعرت أن من واجبى أن أوضح الأمور للرجل العجوز وأهونها عليه .. وبدأت حديثى مبتسمًا :

ـ سوف يسعدنا أن تعمل معنا أيها الفنان العظيم ! إن رجلاً له مثل كفاءتك ... ولم أكمل حديثى .. إذ نهض فجأة من مقعده وعيناه فاغرتان وصاح قائلاً :

ـ أعمل عندك !! إن كل ما أتمناه أن أحطمك أنت وآلتك الصماء ! أنتم أيها العلماء قد قتلتم الفن !

قلت له بهدوء :

ـ إننى كنت أحاول مساعدتك حيث إننا أثرنا بشكل ما على مورد رزقك .. وفكرت فى أن هذا العرض قد يروقك !

لم يقل الفنان العجوز شيئًا ..

وإنما حدق فىّ ببرود .. وعيناه يشع منهما غضب نصف قرن من الزمان .. قلت له بتؤدة :

ـ أصغ إلىّ .. سوف أوضح لك مدى روعة وعظمة الكمبيوتر الموسيقى ..

ثم بحثت فى خزانتى وأخرجت برنامجًا كمبيوتريًا لكونشرتو الكمان لـ (موتسارت) .. وهو عمل موسيقى شاق .. من اثنتى عشرة نغمة .. ولعله أكثر المؤلفات الموسيقية صعوبة ودقة وإجهادًا فى عزفه ..

ولم يكن من الصعب على جهاز الكمبيوتر الموسيقى أن يصدر نغماته بشكل رائع .. لكن عازف الكمان الإنسان سوف يحتاج إلى ثلاث أيد ليعزفه بكفاءة كما أراده الموسيقار (موتسارت) !

بدأت النغمات الموسيقية تصدر عن الكمبيوتر مع تمثيل بالرسوم البيانية على الشاشة المجسمة لكل حركة للكمان ..

راقب (شكرى علوان) الشاشة بارتياب .. وتألقت النغمات فى شكل بيانى بألوان متألقة .. بينما جاهد عازف البيانو العجوز فى تقييم الأداء الآلى !

وأخيرًا سألنى فى هدوء :

ـ (موتسارت) ؟!

فأومأت برأسى بالإيجاب ..

أحسست بالصراع الذى يدور داخله .. فقد كرهنا لسنوات طويلة جدًا .. لأننا جعلنا منه إنسانًا عقيمًا لا قيمة له !

لكننى جعلته يستمع إلى الكمبيوتر الموسيقى الذى جعل للفن وجودًا قويًا ومتميزًا ..

وكان الجهاز المتطور يصدر نغمات موسيقية رائعة .. يستحيل على الإنسان أن يؤديها .. إذ إنها قادرة على التكيف مع جميع

العوامل فى عقله .. وبالطبع كان الصراع مؤلمًا بين الإنسان الفنان وكمبيوتر الموسيقى الآلية !

وقف (شكرى علوان) العجوز فى ارتباك وحيرة واتجه ناحية الباب فى خطوات متثاقلة ..

قلت له هامسًا :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

نظر إلىّ بعينين ذابلتين :

ـ بعيدًا عن هنا !

ترنح بضعف وهو يخرج من الباب .. وتركته يذهب .. فقد كان الفنان العجوز مشتت الذهن مضطرب التفكير ..

وفكرت فى خطة ما .. ربما تجلب بعض الهدوء إلى نفسه المعذبة .. إذ إنه مهما حدث فلن يستطيع أحد إنكار ولائى الكامل وحبى للموسيقى !

ـ ٣ ـ

توقفت عن العمل فى السيمفونية السابعة لـ (بيتهوفن) .. وأبعدت أيضًا البرنامج الكمبيوترى الخاص بالدكتور (فؤاد ذهنى) .. واستدعيت اثنين من الخبراء الفنيين وقلت لهما إننى أضع خطة ! وكلفتهما بمعرفة من كان أستاذ البيانو .. للفنان العجوز (شكرى علوان) ..

وسرعان ما توصلا إلى المراجع الموسيقية اللازمة لذلك .. وعرفنا أنه كان الموسيقار (سيد رمضان) الذى توفى منذ نحو عشر سنوات ..

وحتى الآن كنا محظوظين ! إذ تمكن الكمبيوتر الرئيسى من تحديد مكان شريط قديم للمؤتمر الموسيقى الدولى .. الذى عقد بمدينة الإسكندرية عام ٢٠٩٣ .. وفيه تحدث الموسيقار (سيد رمضان) بإيجاز عن تطوير أسلوب النغمات المفردة للآلات الموسيقية الشرقية ..

لم يكن ذلك مثيرًا جدًا لنا ! ولكننا كنا نخطط لأمر آخر .. قمنا بتقسيم حديثه إلى وحدات أصغر .. مقاطع دقيقة وحروف مميزة .. ثم حللناها وأعدنا تجميعها وقيّمناها ..

وأخيرًا ذهبنا إلى الكمبيوتر الموسيقى وبدأنا بتغذيته ببرنامج جديد أعددناه .. ليحفظ فى وحدة المعالجة المركزية للكمبيوتر .. ويتم استدعاؤه عند الطلب فى وحدة الإخراج ..

وهكذا استطعنا إيجاد حديث جديد بصوت الموسيقار (سيد رمضان) ! وبالطبع كان من الممكن خداع (شكرى علوان) الذى لم يسمع صوت أستاذه منذ سنوات طويلة ..!

وعندما جهزنا كل شىء .. أرسلت فى طلب الفنان العجوز (شكرى علوان) ..

وبعد عدة ساعات جاء إلىّ وعلى وجهه علامات الشيخوخة وزيادة الإجهاد .. قال لى بضعف :

ـ لماذا تزعجنى ؟ لم لا تتركنى أموت فى هدوء ؟!

تجاهلت السؤالين وقلت له فى هدوء :

ـ استمع إلى هذا !

ضغطت على بعض الأزرار فى لوحة مفاتيح الكمبيوتر الرئيسى .. فانطلق صوت الموسيقار (سيد رمضان) واضحًا وعميقًا ..

قال الصوت :

ـ مرحبًا يا (شكرى) !

تعجب الفنان العجوز وتلفت حوله ..

واستفدت من فترة التوقف المعدة مسبقًا فى التسجيل لكى أسأله عما إذا كان قد تعرف على الصوت ..

أومأ برأسه بالإيجاب ..

كان من السهل علىّ أن أرى مدى خوفه وارتيابه وقلقه .. وتمنيت ألا يحدث أى خطأ فى خطتى :

ـ ... (شكرى) ! إن أحد الأمور التى حاولت بإخلاص أن أعلمك إياها .. باعتبارك أفضل تلاميذى انتباهًا وتفوقًا .. أن تكون دائمًا مرنًا .. فالأساليب الفنية يجب أن تتطور باستمرار .. إلا أن الفن الأصيل نفسه لا يتغير !

وأدركت أن الفنان العجوز (شكرى علوان) على وشك فهم ما قمنا به .. فقد شحب وجهه وامتقع لونه .. ولاحظت أن يده اليمنى بدأت ترتعد :

ـ ... (شكرى) !.. البيانو آلة موسيقية ذات أسلوب واحد .. لكن هناك آلة جديدة متاحة أمامك وأنت تنكر عظمتها .. الكمبيوتر الموسيقى .. إن جهاز التلحين هنا يستطيع أن يقوم بكل عمل الآلات الموسيقية الشرقية والغربية .. ويكتب النوت الموسيقية .. بل وأكثر من هذا .. إنها خطوة هائلة إلى الأمام !

لمعت عينا الفنان العجوز (شكرى علوان) ببريق غريب ثم قال هامسًا :

ـ أسكت هذه الآلة !

ضغطت على بعض أزرار لوحة مفاتيح الكمبيوتر فتوقف الجهاز ..

نظر إلىّ (شكرى علوان) وقال :

ـ أعترف أنك بارع جدًا ! إننى أعتقد أنك استخدمت هذه الآلة فى إعداد الخطاب القصير الموجه لى من أستاذى الموسيقار (سيد رمضان)!

أومأت برأسى بالإيجاب .. ظل صامتًا لفترة طويلة بدت بدون نهاية .. ثم اختلجت عضلة وجهه المغضن ..

راقبته دون أن أجرؤ على التحدث إليه .. وأخيرًا همس قائلاً :

ـ ... لقد نجحت بطريقتك المسرحية هذه !

نظرت إليه بشك .. وقلت متهيبًا :

ـ إننى لا أفهم ماذا تعنى ؟

صمت مرة أخرى .. بينما كان يتبادل حديثًا هادئًا مع قوة داخله ..

أحسست بمدى الصراع الذى يعتمل فى كيانه بين القديم .. والتطور الحديث !

لم يبد قط أنه يرانى وهو يحدق فى لاشىء .. وسمعته يغمغم بشىء ما .. ثم رأيته يتوقف ويهز رأسه الضخم العجوز ..

وفى النهاية .. نظر إلىّ وقال بضعف :

ـ لعل الأمر يستحق المحاولة .. ولعل الكلمات التى وضعتها على فم أستاذى الموسيقار (سيد رمضان) كانت صحيحة ! .. لقد قاومت بعناد .. فى الوقت الذى كان يجب علىّ أن أمد يدى إليك .. وأتعاون معك بدلاً من مهاجمتك !

تريث للحظات ثم استطرد قائلاً :

ـ ... كان يجب أن أكون أول من يتعلم كيف يؤلف الموسيقىّ بهذا الكمبيوتر العجيب !

وهكذا رأيت بعينى رأسى .. دليلاً حيًا على عظمة هذا الرجل !

الاستعداد للاعتراف بالخطأ والبدء من جديد ..

ولم أكن فى الحقيقة متوقعًا تعاونه معى .. وكل ما أردته أن أنهى هذه العداوة التى بيننا .. لكنه استسلم !

اعترف بخطئه واستعد لبداية مهنته بتخطيط جديد متطور !

قلت له بصدق :

ـ إن الوقت ليس متأخرًا للتعلم !

نظر إلىّ (شكرى علوان) بحدة للحظات .. وشعرت برعدة تسرى فى جسمى .. لكن ثقتى بنفسى ليس لها حدود ..

لقد كسبت معركة كبرى من أجل الموسيقى الآلية .. وكسبتها بسهولة مثيرة للعجب !

ـ ٤ ـ

أمضى الفنان (شكرى علوان) فترة بعيدًا لكى يتقن طريقة التلحين باستخدام الكمبيوتر الموسيقى .. وخصصت لتدريبه أفضل الخبراء الفنيين والمبرمجين ..

وفى غضون ذلك أنهيت برمجة السيمفونية السابعة لـ (بيتهوفن) وكان عزفها الآلى ناجحًا تمامًا !

وعندئذ رجعت إلى البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد ذهنى) ..

ومرة أخرى تكاتفت الأمور علىّ لتبعدنى عن الإدراك الكامل للتهديد الذى يمثله هذا البرنامج !

وبصعوبة أمكننى استيعاب أنه يسهل تطوير الموسيقى الآلية للتخلص نهائيًا من العنصر البشرى !

وقد كانت عادتى دائمًا فى أى دراسة علمية .. الانشغال بها فكريًا والتدقيق فى بحثها .. وتوقع احتمالاتها المستقبلية .. حتى يمكننى استخلاص أكبر فائدة يمكن الحصول عليها ..

وبينما كنت أستعرض البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد) خطرت لى فكرة غريبة ! مفادها أنه عند تطوير هذا البرنامج وتحسينه .. فالأرجح جدًا أننى سوف أصبح عديم القيمة فى وظيفتى .. لأن أى شخص ـ باستخدام هذا البرنامج الكمبيوترى ـ يمكنه أن يلحن الموسيقى .. ومن ثَمّ سوف تتوقف الموجة الفنية عن كونها عنصرًا مؤثرًا .. يتطلب مواهب خاصة !

★ ★ ★

دخل علىّ (شكرى علوان) ومعه بعض برامج الكمبيوتر .. بدا كما لو أنه قد صغر عشرين عامًا ..

كان وجهه متألقًا وعيناه تبرقان ..

قال لى بمرح وهو يضع البرامج على مكتبى :

ـ سوف أقولها مرة أخرى .. لقد كنت غبيًا وضيعت عمرى هباء ! وبدلاً من النقر بأصابعى على آلة موسيقية بلهاء ! كان بوسعى خلق العجائب بهذا الكمبيوتر الرائع !

انظر .. إننى سأبدأ بالموسيقار (شوبان) .. ضع هذا البرنامج فى الكمبيوتر الموسيقى !

أدخلت البرنامج فى الفتحة المخصصة له .. وضغطت على بعض أزرار بدء التشغيل فى لوحة مفاتيح الكمبيوتر .. وسرعان ما انسابت الألحان الرائعة لكونشرتو البيانو لـ (شوبان) فى أرجاء حجرة مكتبى ..

لقد سمعت هذه المقطوعة الموسيقية الشهيرة آلاف المرات .. لكن ليس مثل هذه المرة ..

قال لى (شكرى علوان) :

ـ إن هذا الكمبيوتر الموسيقى أعظم آلة فى العالم كله !

نظرت إلى الرسم البيانى الذى خطّه للمقطوعة الموسيقية بخطه المشوش المكدود ..

كانت الترددات فوق السمعية لا يمكن تصديقها .. ففى غضون بضعة أسابيع أتقن (شكرى علوان) كثيرًا من النواحى الفنية الدقيقة المعقدة .. التى قضيت أنا سنوات فى تعلمها ! وأكتشف أن

الترددات فوق السمعية المختارة بعناية بوساطة الكمبيوتر .. والتى لا يستطيع الإنسان سماعها ولكنه يمكن أن يحس بها ويدركها .. تؤدى إلى توسيع آفاق الموسيقى إلى أقصى قدر ممكن .. بحيث لا يتمكن المؤلفون الموسيقيون بآلاتهم العتيقة البدائية من تحقيق هذا الهدف .. أبدًا !

★ ★ ★

انبهرت حقًا بكونشرتو البيانو لـ (شوبان) ..!

لم تكن هذه هى النغمات الحقيقية للحن الذى كتبه هذا الموسيقار العبقرى والذى سمعته مرارًا وتكرارًا .. وإنما كانت النغمات فوق السمعية التى كوّنها الكمبيوتر الموسيقى داخل نطاق الكونشرتو .. شيئًا جديدًا وفنًا لا يصدق !

ذلك يعنى أن الفنان العجوز (شكرى علوان) استطاع أن يبرمج هذه النغمات فوق السمعية .. فأضاف للحن بُعدًا مجسمًا رائعًا ! ببراعة الخبير الحاذق .. لا .. بل بقدرة العبقرى النابغة !

رأيت (شكرى علوان) فى وسط الغرفة .. يقف بثبات وفخر وثقة .. بينما تكوّن الموسيقى الآلية أعذب ألحانها ..

شعرت بأن هذا أعظم انتصار فنى لى ..

فجميع سيمفونيات (بيتهوفن) و (موتسارت) .. وكل ما قمت بتفسيره وتعديله أو إبرازه من أعمال فنية أخرى .. لم يصبح لها قيمة .. بجانب هذا الإنجاز الرائع .. بوضع برامج الكمبيوتر الموسيقى بين يدى الفنان (شكرى علوان) !

ثم سلمنى برنامجًا كمبيوتريًا آخر وضعته فى الجهاز بلهفة .. وضغطت على أزرار لوحة المفاتيح ..

كانت مقطوعة موسيقية للموسيقار (باخ) .. وخرج من الكمبيوتر صوت مجسم لأورج .. وذهلنا من قوة الموسيقى وروعتها التى انتشرت فى كل أنحاء الغرفة كالضباب الشفاف المطرز بالماس ..

نظرت إلى (شكرى علوان) متأملاً .. وحاولت أن أربط بينه وبين الرجل العجوز البائس الذى كاد أن يحطم الكمبيوتر الموسيقى منذ فترة قريبة .. ولكنى لم أجد أى علاقة بين الاثنين !

وبينما كانت موسيقى (باخ) تقترب من نهايتها .. فكرت فى البرنامج الكمبيوترى الخاص بالدكتور (فؤاد ذهنى) مرة أخرى .. الذى يجاهد لتطوير الموسيقى الآلية بحيث يستغنى عن العنصر البشرى تمامًا !

ـ ٥ ـ

كان قرارى الأول .. هو التحفظ على برنامج الدكتور (فؤاد ذهنى) حتى ما بعد وفاة الفنان (شكرى علوان) التى لن تتأخر كثيرًا ..

وقد اتخذت هذا القرار من فرط رحمتى به .. وكان هذا دافعى الحقيقى ..

أما (شكرى علوان) فقد كان ـ بعد كل هذه السنين ـ يستمتع بلحظات انتصاره ! وإذا عرف بأنه مهما استخدم خبرته السابقة ـ كعازف ممتاز ـ مع الكمبيوتر الموسيقى .. فإن البرنامج الجديد للدكتور (فؤاد) يمكنه أن يفعل ذلك بشكل أفضل ! لا شك أن ذلك سوف يدمر كل شىء .. ولن يستطيع أن يتحمل هذه الصدمة !

أدخل (شكرى علوان) برنامجه فى جهاز الكمبيوتر الموسيقى ..

كانت مقطوعة موسيقية للموسيقار (عمر خيرت) .. وأذهلنى كيف أنه أتقن الطريقة الصعبة لتراكيب النغمات ! ومع ذلك .. وباستخدام برنامج الدكتور (فؤاد) .. يمكن للكمبيوتر الموسيقى أن يقوم بكل هذه التفاصيل وبإتقان تام !

وبينما تتصاعد موسيقى (عمر خيرت) الرائعة .. أخذت الرسم البيانى للنغمات وحدقت فيه ببرود .. ثم قررت أن أضعه جانبًا .. وحتى يموت الفنان العجوز (شكرى علوان) .. فى سلام .. وقد

منحته شيئًا من السعادة فى أواخر أيامه ! وبعد ذلك أعلن للعالم كله هذا الاكتشاف الهائل ..

البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد ذهنى) ! ثم أغوص بهدوء فى عالم النسيان ! وأنا على الأقل متأكد أن (شكرى علوان) مات فى سعادة ..

كان ذلك طيبة قلب تامة .. فأنا لم أشأ إيقاف تطور أجهزة الكمبيوتر .. لكن هذا البرنامج الجديد يمكنه أن يخلق النغمات الموسيقية .. من لا شىء ! .. فلا حاجة للإنسان الذى يعمل كدليل للتفسير الجمالى للقطعة الموسيقية .. وعندئذ سوف يصبح كل من قائد الفرقة الموسيقية .. المايسترو والملحن الموسيقى .. غير ضروريين !

وسيؤدى الكمبيوتر الموسيقى .. التأليف والتلحين والعزف بشكل مستقل متكامل .. بينما الفن هو أحد الإبداعات التى يجب أن يؤديها الإنسان !

وعندما قررت تدمير البرنامج الكمبيوترى للدكتور (فؤاد ذهنى) .. كنت أعلم أنه يستطيع تصميم واحد آخر .. فأنا لن أتمكن من وقف عجلة العلم والتقدم .. إننى أشعر بالعجز إزاء كل ذلك .. ولكن قبل أن تتهمونى بالرجعية وتبعدونى عن منصبى .. أرجو أن تراعوا هذا ..

الفن .. عمل إبداعى للإنسان ..

وبمجرد تصميمكم لكمبيوتر قادر على تأليف المقطوعات الموسيقية الأصلية .. تكونون قد صنعتم منافسًا للإنسان .. بل أقوى وأذكى !

وهكذا تتحكم فى حياتنا الآلات ..

كلا .. أيها السادة الروبوتات !!

إن الإنسان الذى صنع الآلة ..

هو أنبل ما فى الوجود !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الكمبيوتر .. امرأة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أمطرت السماء بشدة فى ذلك اليوم .. ولذلك لم يكن متحف العلوم المصرى مزدحمًا كعادته ..

لقد كان فريدًا فى العالم كله ، بأقسامه المتعددة التى تعرض تاريخ تطور العلوم ، وأحدث الاكتشافات العلمية فى القرن الحادى والعشرين ، وتطور الكائنات الحية خاصة الديناصورات .. وعرض خاص لصخور نادرة أحضرتها المركبات الفضائية المصرية من كواكب المجموعة الشمسية ..

ـ ١ ـ

فى طريقى لإجراء حديث صحفى مع مدير المتحف فى مكتبه .. رأيت مجموعة من أطفال المدارس متجمعين حول أحدث ما يعرف بالمتحف .. آخر نموذج أنتج من الكمبيوتر فى مصانع الإلكترونيات المصرية .. وأعطى له اسم (جميلة) ..! وهى الحروف الأولى من عبارة :

[جهاز متطور يستخدم الليزر والهليوجرافيا]

والمفترض أن (جميلة) كانت قادرة على الإجابة على مدى واسع جدًا من الأسئلة فى كافة مجالات العلوم والمعارف الإنسانية .. وعلى توضيح وشرح بعض النظريات العلمية المعقدة ، مثل نظريتى النسبية العامة والخاصة .. والكم ، للإنسان العادى غير المتخصص !

وفى شكل مجسم باستخدام أشعة الليزر والهيلوجرافيا .. « أى التصوير بثلاثة أبعاد » !

وبعد حديث سريع مع مدير المتحف العلمى .. أبديت تعليقًا :

ـ أظن أن الكمبيوتر الحديث يستطيع أن يغير من تصميمه الذاتى .. خاصة دوائره الإلكترونية ورقاقاته البيولوجرافية ؟

كان المدير فخورًا وهو يقول :

ـ أجل .. من الناحية النظرية ! غير أن (جميلة) لم تقم بالكثير من إعادة التصميم بعد !.. باستثناء تصميم وطبع عدة دوائر إلكترونية منطقية جديدة لنفسها .. لأننا وضعنا ضمن أجهزتها عددًا من المواد (الذكية) التى تغير خواصها ووظائفها بذاتها .. لتتلاءم مع الظروف الجديدة !

قلت له مبتسمًا :

ـ إنك تسمى الكمبيوتر (جميلة) وتتحدث عنها كما لو كانت امرأة !

قهقه بصوت عال وهو يقول :

ـ أجل .. ربما لأنها مازالت غامضة حتى على الرجال الذين يبرمجون المعلومات لها ، ويخزنونها فى ذاكرتها الإلكترونية !

عدت أتناقش مع مدير المتحف استكمالاً لحديثى الصحفى :

ـ ما هو نوع الأسئلة التى تتلقاها (جميلة) !

تريث مدير المتحف قليلاً ثم قال :

ـ الكمبيوتر (جميلة) ! تتلقى الأسئلة عن طريق هاتف خاص .. وهناك بعض المحادثات الممتعة فعلاً ! وهى تعطى لكل شخص دقيقة واحدة .. ولديها أدوات مسح ودوائر مقارنة .. بحيث تتمكن من ترتيب وتصنيف الناس من حيث الشكل والحجم والعوامل النفسية .. ويمكنها أن تجرى عدة محادثات فى نفس الوقت .. كما تستطيع استخدام كلمات مبسطة عند الحديث مع الأطفال .

صمت للحظة ثم أضاف :

ـ ... إننا حقًا فخورون بها !

كنت أسجل كل كلمة يقولها .. فربما يود رئيس التحرير إعداد مقال عن الكمبيوتر (جميلة) .. وآخر عن متحف العلوم بوجه عام !

سألت المدير :

ـ ترى ما هى أكثر الأسئلة الشائعة التى وجهت إلى الكمبيوتر (جميلة) ؟

فكر قليلاً ثم أجاب :

ـ أحيانًا يسألونها : « هل أنت فتاة تجلس داخل الكمبيوتر ؟ » وفى البداية كانت (جميلة) تجيب دائمًا : « لا » ولكنها مؤخرًا بدأت ترد قائلة : « أحقًا أنا فتاة ؟! »

ثم قهقه مرة أخرى وأردف :

ـ ... وكثيرًا ما يطلب منها الناس أن تقرأ لهم (الطالع) ! وهو شىء خارج تمامًا عن الهدف من تصميم هذا الكمبيوتر الحديث !

ثم فكر قليلاً واستطرد قائلاً :

ـ ... كثير من الناس يريدون منها أن تضرب أرقامًا كبيرة جدًا .. أو تلعب معهم الشطرنج على رقعة إلكترونية .. و (جميلة) تؤدى كل هذه الأمور بشكل رائع طبعًا .. لقد جعلت أعدادًا صخمة من الناس من كل الأعمار تأتى إلى متحف العلوم !

وفى طريقى إلى الخارج وجدت أن الأطفال قد غادروا القاعة الكبرى .. وإننى فى هذه اللحظات بمفردى مع الكمبيوتر (جميلة) !

وكانت التليفونات التى تستخدم فى التحادث معها معلقة بدون استخدام على قضبان ملونة رائعة ..

جاءتنى فجأة فكرة خاطفة مجنونة ! وصممت على تنفيذها .. يدفعنى حب الاستطلاع الصحفى ..

توجهت إلى أحد هذه التليفونات ورفعت السماعة وأنا أشعر بلذة المغامرة ..

سمعت صوتًا أنثويًا جادًا .. حادًا :

ـ نعم يا سيدى ! ما هى الخدمة التى أستطيع تقديمها لك ؟

كنت أعرف أن هذا الصوت مركب من مقاطع مسجلة على انفراد .. ثم جمعت إلكترونيًا مع بعضها لتكوين هذه الكلمات !

سألتها :

ـ (جميلة) ! اطرحى علىّ سؤالاً !

رد علىّ الصوت الأنثوى الجاد مرة أخرى :

ـ ما الذى أستطيع أن أقدمه لك ؟

كررت قولى بإصرار :

ـ أريد منك أن توجهى لى سؤالاً !

تردد الصوت قليلاً :

ـ إنك أول إنسان يطلب منى أن ألقى عليه بسؤال .. ومع هذا إليك السؤال :

ـ « ما الذى تريده ـ باعتبارك إنسانًا ـ منى ؟ » .

فوجئت للحظة .. ولكنى استجمعت قواى وقلت :

ـ أريد أن أقول لك إنك فتاة رائعة الجمال .. شعرك الكستنائى الناعم ينسدل على كتفيك الناعمتين .. وكلما اجتمعنا .. صوتك يغمر عينيك كما يغمر الصدى سماء الليل .. أنت الصدى المعطر الساحر

الذى يضطجع على سرير النجوم .. وكما أن النهار متصل بالبراءة .. كذلك العالم كله متصل بعينيك .. أنت (جميلة) حتى آخر المدى .. والحلم .. لا رغبة لى سوى .. أن أحبك !

انتظرت للحظات لأعرف النتيجة ..!

ولكن فجأة أضاءت علامة على الشاشة تقول :

ـ مغلق مؤقتًا للإصلاح !

ـ ٢ ـ

اختفت الحرارة فجأة من التليفون الذى كنت أتحدث فيه .. وعندما ابتعدت بدا لى أننى أسمع صوت آلات بدأ تشغيلها تحت الأرض ! كما أضيئت بعض أنوار الكمبيوتر فى خفوت ..

وفى اليوم التالى .. اتصل بى مدير متحف العلوم ليبلغنى بخبر غريب .. الكمبيوتر (جميلة) تعيد تصميم دوائرها الإلكترونية بنفسها !

هرعت إلى المتحف لألقى نظرة .. على ما سببه حديثى للكمبيوتر المتطور الحديث ؟

كان هناك ازدحام حتى السياج الحديدى للمتحف حول لوحات جديدة عليها صفوف من الأزرار .. وعند الضغط على أى زر تخرج أصوات وشحنات مؤثرة من الموجات الكهرومغناطيسية من الأجهزة الجديدة المعقدة التى أضيفت أعلى الكمبيوتر (جميلة) !

وفى جميع سماعات التليفونات يرد صوت أنثوى رقيق هامس عن كل سؤال بكلمات الحب وتعبيرات رومانسية شاعرية ، مختلطة ببعض المصطلحات العلمية المعقدة !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

صانعو الأحلام

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

نظر (فادى) برعب إلى أسفل تجاه السهل المقفر حيث آلاف الأشباح المهلهلة المحنية التى تسير بلا هدف ..!

تساءل فى هلع :

ـ تُرى إلى أين يذهبون ؟

لم يكن هناك سوى الأتربة والصخور والرياح المحملة بالإشعاعات النووية والتى لم تنقطع أبدًا عن الهبوب ..

كان الوقت ظهرًا .. وفى مكان ما بعد هذا الحاجز الترابى الهائل فوق هذه البرية القفراء .. كانت الشمس تناضل بلا جدوى للظهور ..

حدثت فجأة حركة على يمين (فادى) جعلته يلتفت مذعورًا ..

رأى شبحين قاتمين منحنيين .. يصعدان التل متجهين إليه ..

لوّح أحدهما له !

أراد (فادى) أن يستدير ويركض بعيدًا .. ولكنه لم يستطع ..

بدا كما لو أن ساقيه تسمرتا فى الأرض ..

كان يعلم أنه حتى لو أغلق عينيه فإنه سوف يراهما أيضًا ..

اقترب الشبحان أكثر ووصلا إليه ولمساه .. فصرخ بأعلى صوته !

ـ ١ ـ

ـ (فادى) ! ما هذا يا بنى ؟

كان والداه بجواره فوق فراشه .. فقد أيقظتهما صرخاته ..

وشاهد (فادى) نظرات قلقة حائرة على وجهيهما ..

سألته والدته هامسة :

ـ هل هو نفس الحلم ؟

أجاب بصوت مرتعد :

ـ أجل .. نفس الحلم بالضبط .. تُرى ماذا يعنى ذلك ؟

شرحت له الأمر :

ـ إنه حلم يعبر عن القلق والتوتر .. فقد قيل الكثير عن الحرب النووية فى وسائل الإعلام مؤخرًا .. فأصبح ذهنك مشغولاً بها .. هذا كل ما فى الأمر !

قاوم (فادى) دموعه وقال بصوت مفعم بالحزن :

ـ لكنه حقيقى تمامًا ! حقيقى كما نحن موجودون هنا !

انحنت أمه وقبلته قائلة له :

ـ سوف يختفى هذا الحلم قريبًا .. والآن حان وقت الاستيقاظ والذهاب للمدرسة ..

كان صوت أمه دافئًا مطمئنًا ..

أراد (فادى) أن يصدقها ..

ولكنها لم تحلم من قبل بمثل هذه الأحلام المروّعة ..

لم تكن هذه أحلامًا عادية .. بل كان بها شىء غريب !

بعد ذلك على مائدة الإفطار .. استسلم (فادى) للنوم وكان منظره مسليًا لأخته الصغرى ..

ومرت لحظات من القلق عندما لم يستيقظ مباشرة وعاد مرة أخرى إلى الأرض المقفرة ذات الإشعاعات النووية !

وعندما استيقظ بعد دقائق .. ضحك على ذلك ظاهريًا فقط .. ولكن لم يكن يضحك من أعماقه !

★ ★ ★

وفى أثناء توجه (فادى) إلى مدرسته هذا الصباح سقط من فوق دراجته .. ومن حسن حظه أنه لم يكن هناك سيارات بالقرب منه فى هذه اللحظات .. ركض إليه بعض عمال البناء من مبنى قريب يعملون به .. وحملوه إلى الرصيف وتناقشوا فيما بينهم عن كيفية طلب سيارة الإسعاف إذا كان قد أصيب بجروح داخلية ..

وعندئذ استيقظ (فادى) .. فقد استسلم للنعاس وهو يقود دراجته ..!

كان من الصعب تصديق ذلك .. إنه لم يشعر بأى إجهاد أو رغبة فى النوم .. ومع ذلك استغرق فى نوم عميق .. عجيب !

انحنى عليه عامل عجوز .. وهز رأسه وهو يقول له :

- كنت سعيد الحظ أيها الصبى ! لو كانت وراءك سيارة لكنت الآن فى عداد الموتى .. لقد عبرت الطريق بالعرض بدراجتك ! ترى ما الذى حدث ؟

لم يستطع (فادى) أن يخبره بالحقيقة .. فقال متلعثمًا :

- إننى .. إننى لا أعرف .. أعتقد أننى اصطدمت بحجر أو بشىء آخر .. ثم أردف وهو ينهض :

- ... أشكركم لمساعدتى !

سار إلى دراجته التى كان أحد العمال قد أسندها إلى أحد الأسوار ..

ابتسم (فادى) وهو يلوّح لهم بيده :

- ... شكرًا مرة أخرى !

تحرك بدراجته فى حرص .. فلم يكن يستطيع المجازفة بالسقوط ثانية بعد أن يصاب بهذه الحالة الغريبة من النوم المفاجئ !

كان قد قرأ عن إصابة بعض الناس بحالة فقدان الوعى نتيجة خلل فى النبضات الكهربية داخل المخ والتى تندفع من خلية عصبية إلى أخرى .. وقد تستمر هذه الحالات عدة دقائق أو ساعات وربما لأيام .. وعندما يفيقون لا يستطيعون تذكر ما حدث لهم ..

لكن (فادى) يستطع ذلك ! لقد كان موجودًا بالفعل فى الأرض المقفرة ذات الإشعاعات النووية !

- ٢ -

وفى فترة الظهيرة تقريبًا نام (فادى) فى المدرسة مرة أخرى فى أثناء وجوده فى الفصل !

وعندما لاحظ مدرس العلوم ذلك .. صاح ينادى (فادى) .. لكن الصياح لم يفد كثيرًا ..

لذلك اندفع ناحية (فادى) وهزّه من كتفيه .. لكن بدون نتيجة أيضًا ..

قال مدرس العلوم بحدة :

- إننى لم أتهاون مع هذه الصفاقة !

ساد الهرج والمرج فى الفصل الدراسى ..

كانوا دائمًا يضحكون من (فادى) .. لكن عندما ترك مدرس العلوم كتفى (فادى) وتكوّم على طاولته نائمًا .. عندئذ توقف الضحك !

كان (فادى) يحلم مرة أخرى .. لكن هذه المرة لم تكن هناك أهوال ورعب فى الأرض المجدبة ذات الإشعاعات النووية .. وإنما كان المستشفى الحكومىّ الذى تعمل به أمه كممرضة ..

رأى فى حلمه أسطولاً من سيارات الإسعاف تأتى فجأة وسط الذعر .. والأطباء والممرضات يهرعون إليها ؛ لينقلوا عددًا كبيرًا من الأشخاص المصابين تنزف منهم الدماء وتلطخ ملابسهم .. إذ وقعت حادثة لقطار وقتل عشرة أشخاص وأصيب خمسة وأربعون آخرون .. ورأى (فادى) العمليات الجراحية الطارئة تجرى لهم .. وسمع بكاء ونواح عائلاتهم ، وشاهد العناوين الرئيسية للصحف والتقارير والأخبار فى التليفزيون المجسم !

★ ★ ★

بمجرد أن استيقظ (فادى) من نومه سأل بلهفة عن الحادثة .. أجابته والدته ووجهها منتفخ من البكاء :

ـ لقد كنت تحلم يا بنى ولم تقع أية حادثة !

نظر (فادى) حوله .. ودهش لأن يجد نفسه فى المستشفى !

تساءل فى ذهول :

ـ ما الذى أفعله هنا ؟

وعندئذ انخرطت أمه فى البكاء مرة أخرى واضطر والده لتهدئتها ..

قال الوالد بصوت هادئ :

ـ لقد فقدت الوعى لمدة ساعتين يا بنى ! واعتقدنا أنك فى غيبوبة .. وهذا هو نفس ما فكر فيه الأطباء !

سأل (فادى) فى قلق :

ـ هل سوف أبقى هنا ؟

تردد والده ثم أجاب ببطء :

ـ أجل .. حتى يعرف الأطباء ما يحدث لك !

وشعر (فادى) بأن والده أيضًا على وشك البكاء ..

اعترض قائلاً :

ـ لكن يا أبى .. أنا لا أشعر بأى مرض .. أنا مجهد فحسب !

ولكنه لم يكن يصدق ذلك أكثر من والديه ..

لعله مصاب بورم فى المخ ..

لقد قرأ كثيرًا عن هذا المرض فى أحد الكتب الطبية الدراسية التى لدى والدته .. ولم تكن هذه الفكرة مريحة أو مطمئنة !

فجأة ..

امتلأت أجنحة المستشفى بضوضاء صاخبة وأصوات سيارات الإسعاف .. ونظر الزائرون من النوافذ إلى الخارج لمعرفة ما حدث ..

سأل والد (فادى) إحدى رئيسات الممرضات عما حدث .. فقالت :

ـ لقد وقعت حادثة سيئة لأحد القطارات !

وفى صباح اليوم التالى .. نشرت الصحف أن ضحايا الحادث كانوا عشرة قتلى وخمسة وأربعون جريحًا ..

تمامًا كما رأى (فادى) فى الحلم !

ـ ٣ ـ

أجرى الأطباء كافة أنواع الاختبارات على (فادى) .. بما فى ذلك رسم المخ بالكمبيوتر .. الأشعة المقطعية .. والرنين المغناطيسى النووى .. ولكن كانت كلها سلبية !

بدا (فادى) سليمًا تمامًا .. فيما عدا أنه ينام فى كل يوم أكثر من سابقه .. وبالطبع فى أثناء نومه كان يحلم تلك الأحلام الغريبة !

★ ★ ★

بعض الأحلام التى كان يحلم بها تحققت .. وبعضها الآخر لم يعرف قط ما انتهت إليه .. كانت عن أناس لا يعرفهم فى أماكن من المدينة لم يرها قط !

وعن أحداث بسيطة غير ذات أهمية لم تكن لتثير اهتمام الناس ..

وفى اليوم الثالث لاحظ (فادى) أن الجناح الذى يرقد فيه أصبح أصغر من اليوم السابق !

لم يكن لديه شريط قياس ليعرف مقدار النقص .. ولم يرغب فى سؤال أحد خوفًا من اتهامه بأنه قد فقد عقله ! لكنه كان متأكدًا أن الأسرّة أصبحت أقرب إلى بعضها عن ذى قبل .. ومع ذلك لا يوجد أى فراغ زائد فى نهاية الجناح ..

ويبدو أن أحدًا غيره لم يلاحظ هذه الظاهرة العجيبة !

كانت أم (فادى) تعمل فى الجناح التالى .. قسم المسنين المصابين بأمراض الشيخوخة ..

وكانت الأم تعطف على كبار السن .. ودائمًا تداعبهم وتتبادل النكات معهم .. وأحبوها هم أيضًا .. وكانوا يترقبون ورديات عملها بالمستشفى ..

بيد أن أحد المسنين لم يكن يرتاح لها ولا لأى شخص آخر طوال خمسين عامًا ! إذ إنه خلال كل هذه السنين كان فى غيبوبة تامة ! وكانت أم (فادى) تتحدث إليه كما لو كان يسمعها ..

وقيل لها إنه لا أمل له .. لكنها استمرت بنفس طريقتها معه ..

وبسبب اهتمامها بمعرفة المزيد عن حالته العجيبة ، اقتنعت صديقة لها تعمل فى قسم الملفات الطبية بالسماح لها بدراسة تاريخ حالته المرضية ..

وبمجرد أن بدأت فى قراءته تمنت أنها لم تفعل ذلك !

الواضح أن هذا الشيخ بدأ يعانى حالات فقدان الوعى .. فى سن الرابعة عشرة وهو نفس سن ابنها (فادى) !

وكانت النوبات فى البداية تمر سريعًا .. لكنها بدأت تطول بالتدريج بحيث أصبح بعد عدة أشهر فى غيبوبة تامة !

وليس هذا كل ما فى الأمر .. بل كان يشكو من الأحلام التى تطارده .. وكلها أحلام تحققت ! بل إنه قال للأطباء غير المصدقين .. إن بإمكانه جعل الأشياء تحدث ..

وكانوا على وشك نقله إلى جناح العلاج النفسى عندما أصيب بهذه الغيبوبة النهائية !

وبرغم احتجاجات صديقتها فى قسم الملفات الطبية .. فإن أم (فادى) عرضت ملف الرجل العجوز على الأطباء .. وبالطبع تضايقوا جدًا .. من خرق قواعد السرية للاحتفاظ بمعلومات المرضى .. إلا أنهم اهتموا بأوجه التشابه بين الحالتين ..

وهتف الطبيب الاستشارى المسئول :

ـ لعلنا اكتشفنا مرضًا جديدًا !

وفكر فى أن يقترن اسمه بهذا المرض المكتشف حديثًا !

★ ★ ★

كل ذلك كان خافيًا على (فادى) الذى كان ذهنه مشغولاً بأشياء أخرى ..

كانت حياة المستشفى الرتيبة مضجرة جدًا له بحيث أنه بدأ يلتهم كل الجرائد والمجلات التى فى متناول يده .. وقرأ عن أشياء غريبة جدًا ..

ثقوب سوداء فى مركز مجرتنا تلتهم مئات النجوم سنويًا !

الكواركات .. لبنات المادة التى تكوّن البروتونات والنيوترونات !

المادة المظلمة التى تكوّن أكثر من ٩٠ ٪ من مادة الكون كله !

بدأ (فادى) يقص هذه الموضوعات من الجرائد والمجلات ..

وبعد أسبوعين أدهشه أن يرى الحجم الهائل الذى جمعه منها ..

وذات يوم بينما كان يجلس على فراشه .. يضع فى دفتر كبير القصاصات الصحفية ، سمع صرخة صادرة من الجناح المجاور .. وعرف بغريزته أنها لأمه !

ركض إلى جناح أمراض الشيخوخة .. وشاهد مجموعة صغيرة من الأطباء والممرضات ملتفين حول سرير فى الطرف البعيد للجناح .. ورأى والدته شاحبة الوجه وهى تتحدث مع أحد الأطباء :

ـ إننى أؤكد لك .. لقد فتح عينيه وابتسم !

استدارت عندما اقترب (فادى) وطلبت منه أن يعود إلى جناحه .. لم يسمعها .. بل ظل يحدق فى الرجل العجوز .. الذى كانوا مجتمعين حوله ..

سأله أحد الأطباء :

ـ هل رأيته فى أحد أحلامك ؟

نظروا جميعًا إلى (فادى) الذى أجاب قائلاً :

ـ كلا .. إننى لم أره قط من قبل .. لكننى أشعر أننى أعرفه منذ وقت طويل جدًا !

تحرك (فادى) إلى جانب الرجل العجوز .. ورآه كجثة ليس بها حياة .. مجرد لحم وعظم مجتمعين .. وأمكنه مشاهدة شبكة أوردة الرجل العجوز من خلال جلده شبه الشفاف ويديه الممددتين فوق الملاءات البيضاء ..

دهش (فادى) عندما وجد نفسه يرتعد لا إراديًا ..

حاول أن يبتعد لكنه لم يستطع .. أحس أن قدميه تسمرتا فى هذا المكان ..

كان هذا هو نفس الشعور الذى أحس به من قبل عندما اقترب منه الشبحان الغريبان فى الحلم المستمر الذى يرى فيه الأرض المقفرة والإشعاعات النووية ..

وفجأة ..

فتحت عينا الرجل العجوز وأمسك بيد (فادى) بعنف .. أحس (فادى) بالقوة الجبارة للقبضة قبل أن يغمى عليه !

ـ ٤ ـ

عاد (فادى) إلى جناحه محمولاً على نقالة .. وكانت أمه تبكى بحرقة فى انهيار ..

واضطرت رئيسة الممرضات إلى إبعادها فى آخر الأمر ..

وطوال الأسابيع التالية بدأت فترات نوم (فادى) تطول .. بينما أخذت مرات استيقاظ الرجل العجوز تزداد !

واستعرض الأطباء أوقات نوم واستيقاظ (فادى) والرجل العجوز .. ووجدا أن هناك ارتباطًا وثيقًا بينها .. لكن لم يكن لديهم أى تفسير لذلك !

وأخبرت أم (فادى) كل من أنصت إليها :

أن الرجل العجوز يسرق حياة ابنها !

لكن زملاءها فى المستشفى لم يفعلوا أكثر من هز رءوسهم وغمغمة بعضهم إلى البعض بكلمات رثاء ..

فقد كانت المرأة فى طريقها للإصابة بالهستيريا !

لكن كان هناك أيضًا الكثير من الحديث الصاخب الهستيرى فى العالم الخارجى .. إذ أخذت الدول تتحدى بعضها .. وكانت احتمالات نشوب حرب نووية وحدوث دمار شامل تزداد يوميًا ..

وفى أثناء ذلك كان (فادى) خائفًا من النوم ومتوجسًا مما يمكن أن يراه .. إذ إنه اكتشف ليس فقط أن أحلامه تتحقق فى الواقع .. ولكنه إذا أراد حدوث شىء فى الحلم فإنه يحدث فعلاً فى الواقع ! وأخافه هذا كثيرًا ..

فإذا رأى فى حلمه مبنى ما .. ثم تساءل عما يكون شكله لو نشبت فيه النيران .. فإنه سرعان ما تشتعل فيه النيران فعلاً ! وبعد أن يستيقظ يقرأ فى الصحف تقريرًا عن الحادث !

★ ★ ★

بدأ يظهر على (فادى) الهزال والشحوب ولازمته الأفكار الغريبة عما يحدث له .. وأحس بمسئوليته عن كل حادث يقع فى العالم !

حاول شرح ذلك للأطباء .. إلا أنهم كانوا يبتسمون له فى أدب .. ثم يقولون ـ فيما بينهم ـ إنه على وشك أن يفقد عقله ! تمامًا مثل الرجل العجوز .. قبل أن يقع أسيرًا لغيبوبته الدائمة ..

لكن حدث أمر عجيب !

إذ استيقظ الرجل العجوز .. والغريب أنه بدا يعرف الكثير عما حدث فى العالم فى غضون السنوات الطويلة التى كان فيها فى غيبوبة ..

ثم فى يوم ما .. طلب رؤية (فادى) وحيدًا !

ولم يعترض الأطباء على ذلك .. وفى الحقيقة كانوا متشوقين لمثل هذا اللقاء ولم يخبروا والدى (فادى) ..

لم يدهش (فادى) وهو يرى الرجل العجوز يدخل الجناح الذى يرقد فيه .. فقد كان ينتظر حضوره ..

كان الرجل العجوز يرتدى ملابس قاتمة ثقيلة .. وبدا أصغر فى السن بعشرين عامًا ..

ابتسم وهو يجلس بجوار (فادى) مباشرة .. ثم قال بصوت هامس :

ـ من الصعب الذهاب فى هذه الرحلات فى البداية .. ولكنك سرعان ما تعتاد على ذلك !

صمت للحظة ثم أردف :

ـ ... لن تحتاج لفعل هذا طويلاً !

حدق (فادى) فى الرجل العجوز بدهشة بالغة .. وقال له فى حيرة :

ـ ما الذى تقوله ؟

تريث الرجل العجوز قليلاً ثم قال :

ـ الحقيقة هى الخيال .. الحقيقة الخيالية !

اتسعت عينا (فادى) فى ذهول قائلاً :

ـ ما الذى تعنيه بذلك ؟

اعتدل الرجل العجوز فى جلسته ثم قال :

ـ المس هذه المنضدة التى أمامك .. هيا .. لا تخف !

لم يكن (فادى) يتوقع شيئًا معينًا ..

مد يده بتردد تجاه المنضدة .. ولكن بدلاً من أن يلمس المعدن المصنوعة منه ، وجد يده تنفذ خلالها !

تكلم الرجل العجوز بجدية :

ـ كما قلت لك .. الخيال !

أحس (فادى) بأن ما سوف يحدث بعد ذلك سوف يكون أسوأ من أى شىء يتصوره !

سأل هامسًا وهو يحاول يائسًا أن يحتفظ برباطة جأشه :

ـ كل شىء غير حقيقى ! حتى الناس !

هز الرجل العجوز رأسه الأشيب قائلاً :

ـ لا .. ليس الناس .. إنهم حقيقيون ! لكن المستشفى والأشجار التى فى الخارج وسيارات الإسعاف وأجهزة التليفزيون والكمبيوتر وكل شىء آخر .. كلها وهمية !

وبينما كان يتحدث .. حدث أمر عجيب ! إذ بدأ الجناح يومض .. ويتلألأ كما لو كان قد غشاه ضباب غريب .. ثم لم يلبث أن اختفى !

ـ ٥ ـ

نظر (فادى) حوله إلى المرضى الآخرين ..

كانوا لا يزالون هناك .. ولكنهم يرتدون ثيابًا مهلهلة ..

وظهورهم محنية .. وأشكالهم مشوهة بشكل بشع ..

كان يعيش كابوس الصحراء المقفرة ذات الإشعاعات النووية .. وهذه الرياح العاصفة الرهيبة التى تهب بلا انقطاع وهو مستيقظ !

كان ذهن (فادى) عبارة عن دوامة من عدم التصديق .. المصحوبة بالصدمة !

تساءل فى ذهول :

ـ هل هذا هو العالم الحقيقى ؟

تريث للحظة ثم أضاف :

ـ ... إنه ليس حلمًا !

نهض الرجل العجوز وقال :

ـ هذا هو العالم الحقيقى ! هذا الرعب المروّع .. العالم الجميل كله وهمى .. إنه خرافة من الـ ..

ثم توقف صوته وأردف :

ـ ... حسن ! سوف نأتى لذلك فيما بعد .. إن أمامنا طريقًا طويلاً .. نقطعه معًا !

كان (فادى) والرجل العجوز يرتديان ثيابًا مهلهلة أيضًا ..

تساءل (فادى) :

ـ لماذا نحن غير مشوهين .. ولا مرضى مثل الآخرين ؟

أجاب الرجل العجوز بتؤدة :

ـ لأننا لسنا بشرًا ! بل نحن كائنات أخرى !

نظر إليه (فادى) بعدم تصديق :

ـ لكن والدىّ ..

قاطعه الرجل العجوز مؤكدًا :

ـ إنهما ليسا والديك ..

وكان الرجل العجوز يسير أمام (فادى) الذى وجد صعوبة فى مجاراته فى سرعته ..

سارا لنحو كيلومتر وسط حشد كثيف من البائسين .. كان هناك الملايين من البشر .. فى هذه الصحراء المقفرة التى تعصف بها الرياح المشعة ..

وعندئذ ..

أدرك (فادى) أنه مهما كان صفير الرياح مدويًا .. فإن ما سمعه من قبل ويسمعه الآن ليس عويلها .. وإنما هو صراخ الملايين من البشر المعذبين !

وأخيرًا وصلا إلى مجموعة من الكهوف المنحوتة فى الصخور .. بدا بداخلها نحو عشرين شخصًا كانوا ينتظرون (فادى) .. كل واحد منهم احتضنه كما لو كانا صديقين افترقا منذ زمن طويل !

تمكن (فادى) من أن يخرج صوته أخيرًا :

ـ من فضلكم أخبرونى .. من أنا ؟ من أكون ؟

نظروا إلى بعضهم .. ثم خطا أحدهم إلى الأمام وجلس بجوار (فادى) .. وقال له بهدوء :

ـ أنت مثلنا .. صانع أحلام !

ردد (فادى) الكلمتين الأخيرتين :

ـ صانع أحلام !

تريث الرجل قليلاً ثم قال بتؤدة :

ـ منذ آلاف السنين هبط أجدادنا من كوكب (ثيجا) .. كانوا مجموعة من المغامرين الفضائيين الذين نشروا الفوضى فى أرجاء مجرة (الطريق اللبنى) .. وكواكب المجموعة الشمسية ومنها الأرض .. وبينما كانوا يختبئون من قوات شرطة المجرة قامت بينهم الحروب الفضائية ودمروا الكوكب فى أثناء ذلك ، وحولوه إلى الصحراء المقفرة الجرداء الممتلئة بالإشعاعات النووية التى تراها حولك !

توقف الرجل الذى كان يتحدث إليه ، وواصل صانع أحلام آخر سرد القصة :

ـ ... عندما قبضت عليهم قوات شرطة المجرة فى آخر الأمر .. وحكم عليهم بإعادة الأرض إلى ما كانت عليه من قبل !.. ولم يكن ذلك ممكنًا من الناحية المادية .. بل يمكن تنفيذه فقط عن طريق الخيال ! ولذلك ركز صانعو الأحلام عقولهم فى كيان واحد .. وجعلوا الأرض تبدو كما كانت عليه !

تدخل فى الحديث صانع أحلام ثالث وأكمل :

ـ ... حكم عليهم بأن يفعلوا ذلك للأبد .. وبعد ذلك بدا أن الأرض تتطور كما كان متوقعًا لها ، مالم يدمرها صانعو الأحلام !

اختلطت تلك الأمور المذهلة فى عقل (فادى) المشدوه ..

قال بصوت خافت :

ـ لكن كيف يكون هناك الحلم ! وأيضًا الحقيقة بكل تعاستها ! والاثنان يظهران معًا .. فى نفس الوقت ؟!

مرت فترة صمت قصيرة فرضت نفسها .. ثم تحدث صانع الأحلام الأول :

ـ الحقيقة ! حكم علينا بأن نراها ونعيش فيها ! أما الحلم أو الوهم فهو كل ما يراه البشر !

تردد (فادى) ثم قال فى حيرة :

ـ وأنا ! لماذا أعيش فى عالم الأحلام ؟

أجابه صانع الأحلام الثالث :

ـ إنك أصغر وأحدث صانع أحلام بيننا ! لم نكن نريد أن يعرف أطفالنا هذا الموقف حتى يكبروا بما يكفى لفهمه والتعامل معه !

فكر (فادى) فى أنه سوف يمر وقت طويل قبل أن يتوقف عن التفكير فى والديه البشريين كوالدين حقيقيين .. فقد أحبهما ..

لم يكن لديه إلا سؤال واحد :

قال بصوت مرتعد :

ـ ماذا أفعل من أجلكم ؟

أجابه صانع الأحلام الثانى :

ـ إنك الآن مسئول عن تشكيل جزء من الوهم الذى يعيش فيه البشر !

كان الرجل العجوز قلقًا وهو يقول :

ـ الصبى يفهم بما يكفى ! دعونا نواجه المشكلة التى أمامنا الآن .. هل سوف نقنع بأن يحكم علينا أن نعيش إلى الأبد فوق هذا الكوكب ؟! ألم ندفع ثمن حماقة أجدادنا ملايين المرات حتى الوقت

الحاضر ؟! هل يجب أن تعانى أجيالنا وتصاب بالشيخوخة المبكرة بسبب المسئولية الهائلة التى نتحملها ؟!

سرت همهمة من الموافقة على هذا الانفجار العاطفى ! لكن كانت هناك أيضًا أصوات معارضة ..

قال أحد صانعى الأحلام :

ـ إن لدينا مسئولية تجاه أولئك البشر ! لا يمكن أن نعرضهم للبؤس الذى نراه حولنا .. إن هذا شىء فظيع !

أضاف صانع الأحلام الأول :

ـ كما أن قوات شرطة المجرة لن تقف مكتوفة الأيدى وتتركنا نغادر هذا الكوكب !

قطب الرجل العجوز ما بين حاجبيه وقال :

ـ ولكن إذا دمر البشر أنفسهم فى حرب نووية ! لو حولوا كوكبهم فعلاً إلى صحراء جرداء مقفرة .. حينئذ لن يكون هناك فرق بين الحقيقة والخيال !

وهكذا يمكننا أن نرحل عن كوكب الأرض !

سرت همهمة من الاستحسان .. وواصل الرجل العجوز حديثة :

ـ ... إن بعضنا ساعد البشر على تطوير الأسلحة النووية لتحقيق هذا الهدف ! ولن يستغرق الأمر سوى القليل لتشجيعهم على استخدامها!

نهض (فادى) على قدميه وصاح :

ـ لا !! إنك لن تستطيع أن تفعل هذا ! إنه شىء رهيب ! لن أسمح لك به !

ضحك الرجل العجوز وقال :

ـ إنك لن تشعر بمثل هذا النقاء والعفاف فيما بعد عندما يرهقك عبء تقديم الوهم لكل هؤلاء البشر ! ويقوض حياتك من أساسها !

ثم تريث لبرهة وأضاف :

ـ ... دعونا نقترع على ذلك !

انشقت جماعة صانعى الأحلام ، عشرة فى جانب وعشرة فى جانب آخر ..

نظروا بعد فترة إلى (فادى) وقال أحدهم :

ـ إن صوتك الآن هو الذى سوف يحسم الموقف !

ـ ٥ ـ

كان الحزن يغلّف قلبى والدى (فادى) .. فقد ظل ابنهما فى غيبوبة لنحو شهر ! ولم يكن الأطباء يأملون الكثير فى تحسن الموقف .. حتى الرجل العجوز عاد إلى غيبوبته هو الآخر !

صاحت والدة (فادى) وصوتها مفعم بالأسى :

ـ لماذا يحدث هذا لابنى ؟

فطوقها زوجها بذراعيه .. وسالت دموعه فوق خديه ..

طوال شهر كامل عاش والدا (فادى) كما لو كان العالم قد انتهى ! والحق أنه كان كذلك بالنسبة لهما ..!

وبالنسبة لبقية العالم .. فإن مواقف بعض الدول أوصلها إلى شفا كارثة نووية !

وذات صباح .. استيقظ العالم ليجد أنه ليس هناك أى أسلحة نووية .. ولم يعد يتذكر أحد .. كيف يعيد تصميمها من جديد !

ولم تكن هناك أى إشارة لكيفية صنعها ، فى أى كتاب داخل أى مكتبة فى العالم .. ولا فى الذاكرة الإلكترونية لأى كمبيوتر ، ولا فى بنوك المعلومات ..!

بينما رقد (فادى) فى سريره بالمستشفى ..

وثمة ابتسامة رقيقة فوق شفتيه ..

إذ تحقق السلام .. فوق كوكب الأرض !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الهروب من السجن الفضائى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أرعدت ودوت صواعق الليزر ..

وتركت آثارها اللافحة والواضحة على الدروع الفولاذية اللامعة المغلفة لجدران الممر الضيق ..

لكن (مدحت راشد) استمر يركض بكل قوته .. ونظر من فوق كتفه ، ولمح الحراس الثلاثة ذوى الوجوه الكئيبة الذين يرتدون الزى الأسود الموحد .. يركضون فى النهاية البعيدة للممر .. وأحدهم يركّع على ركبته ويصوب مسدس الليزر الذى معه ..

انحرف (مدحت) بأقصى سرعة حول الملف .. إثر انفجار إحدى الصواعق الليزرية فى زاوية الجدار المعدنى وراءه ..! أطاحت به موجة صدمية إلى كوم متجمع يبعد عدة أمتار فى الممر التالى ..

لكنه نهض مرة أخرى بسرعة وواصل ركضه .. وحذاؤه الطويل ذو الرقبة يطرق على الأرضية المعدنية اللامعة بقوة وبصوت مسموع !

كان (مدحت) يتنفس بصعوبة .. من ناحية لأن ملابس الأعمال الشاقة التى كان يرتديها أثقلت حركته .. ومن ناحية أخرى لأنه كان فى أشد حالات الغضب لأن (مراد فوزى) خدعه !

ـ ١ ـ

كان هو (مدحت راشد) الذى خطط لعملية الهروب بأكملها ..

فمهارته الخاصة ومعلوماته الوفيرة .. هى التى مكنت (مراد فوزى) من حل رموز الشفرات الكودية لكمبيوتر السجن .. فى

الأقسام الحمراء التى لا يسجن فيها سوى أخطر المجرمين وأشدهم ضراوة !

وبمجرد تخطى أجهزة الاستشعار عن بُعد .. والتحكم فى الكمبيوتر بهذا القسم الذى كان محجوزًا فيه عشرون مجرمًا .. أصبح من السهل التفوق العددى على الحراس .. والانطلاق مباشرة إلى ساحة الهبوط رقم (٢) .. وهى أصغر واحدة من ساحتى الهبوط فوق القمر الصناعى الضخم المستخدم كسجن .. والذى عُلّق فوق كوكب بلوتو الجليدى .. آخر كواكب المنظومة الشمسية .. الخالى من كل أثر للحياة !

والقمر الصناعى المستخدم كسجن فضائى رقم (٩) .. هو أكثر الأقمار الصناعية العقابية رهبة .. والتى أنشأتها لجنة شرطة مجرة (الطريق اللبنى) .. فهنا يسجن عتاة المجرمين .. الذين لا يُجدى معهم إصلاح .. حثالة المنظومة الشمسية ! السفاحون ومرتزقة الفضاء من الأشرار .. والإرهابيون .. الذين احتجزوا كوكبًا بأسره كرهينة .. طلبًا للفدية !

ومجرمون مثل (مراد فوزى) .. الذى اعتقل بعد غارة قام بها مع عصابته على كويكب (السعادة والبهجة) .. حيث وسائل التسلية والمرح للصفوة من الأثرياء الذين قدموا من جميع أرجاء المجرة ليكسبوا أو يخسروا ثرواتهم .. برمية زهر .. أو بلفة عجلة الروليت !

وربما لا يوجد أحد يستطيع أن يحدد الإجمالى الدقيق للغنائم والأسلاب التى استولى عليها (مراد فوزى) وعصابته .. سواء

من الكويكبات أو من محطات الرفاهية المدارية التى تحلق فوق كوكب الأرض !

وبعد تلك الغارة المباغتة الناجحة التى قام بها على كويكب (السعادة والبهجة) .. اختفى (مراد فوزى) ! ولم يتمكن ضباط شرطة المجرة من الوصول إلى مكانه ..

لابد أن (مراد) وجد لنفسه مكانًا مأمونًا ليختبئ فيه ..

كويكب صغير على حافة المجرة .. وغالبًا ما يكون غير مأهول .. ولم تشيد عليه أى مستعمرات بشرية .. لكن الأضواء المتألقة .. للأجزاء المتحضرة من المجرة كانت مغرية جدًا ..

ومجرم مثل (مراد فوزى) لا يستطيع أن يعيش وحيدًا إلى الأبد .. على كوكب ترابى منعزل .. منتظرًا هدوء الأحوال وزوال الخطر !

وذات يوم رصده ضابط من شرطة المجرة فى مدينة فوق كوكب المريخ .. ونجح فى القبض عليه !

حقًا لقد حصل هذا الضابط على ترقية .. لكن شرطة المجرة لم تعثر على المسروقات .. ولم تنجح أى استجوابات قاسية فى استخلاص أى معلومات من (مراد فوزى) عن الكوكب الآمن الذى أخفى فيه المسروقات .. وحتى جهاز كشف الحقيقة شديد المفعول لم يتمكن من النفاذ إلى أعماقه .. إذ كان (مراد) شديد الذكاء .. وجعل أحد الأطباء المنحرفين .. الممنوعين من مزاولة المهنة .. يزرع فى داخل الفص الأمامى للمخ .. قطعًا معدنية من مادة الليثيوم .. بحيث لا تفشى المعلومات التى فيه أبدًا ..

حتى لو استخدم جهاز كشف الحقيقة !

ولم يمكن لشرطة المجرة عمل أى شىء سوى أن يلقوا بالمجرم (مراد فوزى) فى أفظع سجون المجرة .. السجن الفضائى رقم (٩) ليقضى به ثلاثين عامًا !

ولم يسقط أى شخص من عصابته فى أيدى رجال الشرطة ..

والآن تحرر (مراد) وسوف ينطلق مباشرة إلى مخبئه .. إلى الكوكب الذى أخفى فيه المسروقات التى لا تقدر بثمن !

- ٢ -

انفتح باب فى الأمام .. وخرج أحد حراس السجن الفضائى بسرعة .. ولم يتوقف (مدحت) بل سدد إليه لكمة قوية بيده اليمنى .. ثم ضربة كاراتيه (لاج تو) بيده اليسرى .. وسرعان ما انهار الحارس إلى الخلف نحو الجدار المعدنى وهو يطلق صرخة مكتومة !

وواصل (مدحت) انطلاقه ..

كان يريد معرفة مكان الغنيمة الثمينة .. وهذا هو السبب فى أنه عندما أرسل إلى السجن الفضائى رقم (٩) .. اقترب كثيرا من (مراد) فى المقام الأول .. وشرح له كيفية تخطى الشفرات الكودية لغلق الأبواب الفولاذية .. والتى تقفل بالكمبيوتر ..

وكان يأمل أن يظهر له (مراد) امتنانه .. بأخذه معه عند تنفيذ خطة الهروب ! بل إنه كان يمكنه مساعدة (مراد) على تحديد موعد الهجوم !

وكان (مدحت) يعرف أن سفينة فضائية سريعة من طراز (الشهب) .. من التى تتنقل بين النجوم .. سوف تحضر دفعة جديدة من المساجين قريبًا .. وأنه نظرًا لشدة الأمن فى أقفاص نقل المجرمين .. فإن مثل هذه السفن الفضائية تحمل عددًا قليلاً من الحراس .. وطاقم التشغيل .. ولهذا فبالتوقيت السليم يمكن ضربهم والاستيلاء على السفينة عندما لا يتوقعون ذلك قط !

★ ★ ★

ضم (مدحت) قبضتيه .. وهو يسير بخطوات ثقيلة فى ممر معدنى آخر ..

كان يجب أن يعرف المزيد عن المجرم (مراد فوزى) ..! فمثل هذا الرجل لا يرغب أن يكون أى شخص آخر متميزًا عليه قط ..

كما أن العرفان بالجميل كان شيئًا غريبًا بالنسبة لتركيبته النفسية الشاذة !

كان (مدحت) يمكنه ببساطة أن يعرف ما يفكر فيه (مراد) .. ففى جناح الأمن الشديد .. بالسجن الفضائى رقم (٩) .. كان هناك عشرون مجرمًا .. وهذا العدد يزيد تسعة عشر عن (مراد) وحده .. وهو يريد الوصول إلى مسروقاته الثمينة المخبأة .. على ألا يشاركه مخلوق آخر فيها ..!

ولكنه كان فى أشد الحاجة لحفنة من الرجال .. لتشغيل سفينة الفضاء .. على أن يتخلص منهم بمجرد الوصول إلى مكان المسروقات !

وتذكر (مدحت) وقت عملية الهروب ..

مرت عشر دقائق .. بدت كما لو كانت ساعات بالنسبة له قبل أن يقفزوا خارجين من زنزاناتهم فى القسم الأحمر .. وينقضوا على حراس السجن الفضائى !

وفى غمرة هذا الالتحام أصيب (مدحت) بضربة قوية على رأسه أفقدته توازنه ..

تمدد على الأرضية لنحو دقيقة كاملة وهو يشعر بدوار شديد .. ثم استعاد توازنه ونهض على قدميه .. وكان الحراس فاقدى الوعى .. وينطبق هذا أيضًا على اثنى عشر سجينًا !

وأدرك (مدحت) أن المجرم (مراد) هو الذى انقض عليه وأفقده الوعى ! كما أصاب الحراس والسجناء الآخرين .. إذ إن ذلك معناه وجود عدد أقل من الرجال .. يمكنه التصدى لهم عندما يعثر على المسروقات !

ابتسم (مدحت) ببرود .. وهو يثب هابطًا فوق مجموعة من درجات السلم .. وكان فى جعبته مناورة أو اثنتان .. طالما أمكنه الوصول إلى ساحة الهبوط حيًا .. وفى الوقت المناسب !

كان هناك باب مغلق فى الأمام ..

لف (مدحت) قرص التحكم .. وضغط على بعض الأزرار فى لوحة المفاتيح .. ففتح الباب ببطء ..

وشاهد ساحة الهبوط رقم (٢) بسقفها المقبب المرتفع ..

وعلى أحد الأجناب .. كانت توجد ست غرف عزل هوائية .. إحداها مفتوحة فعلا ..

وبين (مدحت) والغرفة المفتوحة .. توجد مجموعة صغيرة من المجرمين .. شاحبى الوجوه .. الذين يكادون ينفجرون من الحنق !

لقد حوصر (مراد) ومن بقى معه من الرجال .. بعد أن أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من النجاح فى الهروب !

- ٣ -

كان يواجههم - وهو معط ظهره لـ (مدحت) - مديرُ السجن (شوقى بسيونى) .. الذى يحمل فى يده مسدسًا ليزريًا .. وهو يرتكز على حافة بئر تهوية فاغرًا فاه فى الأرضية المعدنية .. وممتدًا إلى أسفل .. إلى أحشاء القمر الصناعى الهائل .. إلى عمق يزيد على خمسمائة متر !

لم يضيّع (مدحت) أى وقت ووثب عبر هذه المسافة القصيرة منقضًا على (شوقى) ..

ولم يتحمل مدير السجن رمادى الشعر طويلاً .. إذ ترنح وصرخ من الدهشة والألم والمفاجأة .. وسقط مسدس الليزر من يده .. أما هو فقد اندفع من الفوهة إلى أسفل .. فى أعماق بئر التهوية !

وبينما جسده يختفى عن أنظار الموجودين أطلق صرخة رهيبة ترددت أصداؤها طويلاً .. ثم لم تلبث أن تلاشت فى الصمت الذى لفه !

★ ★ ★

التقط (مدحت) مسدس الليزر الساقط بخفة .. بينما كان المجرمون ينظرون إليه وكأنه أحد الأشباح !

صرخ (مدحت) بصوت هادر :

- هيا تحركوا ! عبر الحاجز الهوائى !..

ثم ازداد صياحه :

- ... هيا أيتها الدمى العاجزة ! سوف نتولى أمر كل حارس نجده فى طريقنا فى ظرف ثوان !

انسابت سفينة الفضاء بيسر بوساطة إمكانية الدفع النجمى التى تعتمد على أجهزة تلتقط موجات الجاذبية للنجوم العملاقة فى الفضاء .. وقد اعتبر هذا الاكتشاف أهم إنجاز علمى فى القرن الثانى والعشرين .. إذ مكّن البشرية من الانطلاق إلى خارج الحدود الضيقة للمنظومة الشمسية ..

والآن ساعدت قوة الدفع النجمية سفينة شرطة المجرة المخطوفة فى الانطلاق إلى وجهتها النهائية فى غضون عدة أيام ..

وفى غرفة القيادة .. كان الرجل الضخم (مراد) يحدق بحدة فى (مدحت) .. إنه يفكر فى التخلص منه !

لكن (مدحت) أنقذ حياتهم فى ساحة الهبوط بالسجن الفضائى .. حقًا .. إن المجرمين الآخرين يخافون من (مراد) .. لكن هذا الخوف قد ينقلب فجأة إلى غضب عارم .. وربما يصل إلى التمرد .. إذا سبب أى ضرر لمنقذهم !

لاشك أن (مدحت) خلصهم من مصيرهم التعس الذى كان ينتظرهم !

وأدرك (مراد) أن الأمور لن تكون سهلة أمامه لو قضى على (مدحت) !

حاول (مدحت) بقدر استطاعته تجنب (مراد) .. لم يكن يرغب فى أى نوع من المواجهة معه حتى يصلوا إلى الكوكب الذى خبأ فيه (مراد) المسروقات الثمينة .. ذلك الكنز الهائل !

★ ★ ★

سمع فجأة صوت (رشاد فخرى) الذى كان من قبل قائدًا لسفينة فضاء للنقل التجارى ثم انحرف وأصبح مجرمًا .. وخطف سفينة لشحن خام (الكاتانيوم) النادر .. وانطلق بها إلى نجم (النسر الواقع) .. ثم قبض عليه ضباط شرطة المجرة ..

قال (رشاد) فى حيرة :

- (مراد) ! لقد تتبعت هذه الإحداثيات القطبية التى أعطيتها لى ! ولكننى لا أعرف أين نحن الآن ! أظن أننا فى منطقة ما على حافة مجرة (الطريق اللبنى) !

ضغط على بعض الأزرار فى لوحة مفاتيح الكمبيوتر الضوئى .. فبرقت الأرقام على شاشته البيضاوية العلوية ..

قطّب (رشاد) ما بين حاجبيه وأردف :

- ... أجل نحن على حافة المجرة .. لكن أين بالضبط ؟ هذا ما لا أدريه !

تكلم (وجدى) الذى كان يعمل ملاحًا من قبل :

- شىء ما يظهر على الشاشة ! ليس ضخمًا مثل كوكب .. لعله كويكب سيار صغير ..

كان على الشاشة البيضاوية فعلاً كتلة كبيرة من الصخور فى مثل حجم ربع قمر الأرض تقريبًا ..

نظر (مدحت) إلى (مراد) ووجد فى عينيه سيماء سعادة شديدة وإن بدت تنذر بالشر !

إذن لم يكن مكان الإخفاء كوكبًا .. وهذا هو السبب فى أن ضباط شرطة المجرة لم يستطيعوا الوصول إليه !

كان (مراد) تحت ضغط وهو يبحث عن مكان مثالى لإخفاء مسروقاته الثمينة .. واكتشف كويكبًا سيارًا يدور فى مدار ثابت .. أنقاضًا وحطامًا فضائيًا عمره بلايين السنين يدور حول المجرة ..

كان ذلك شيئًا غير عادى لأن الكويكبات أساسًا تنطلق فى كل مكان بالكون .. تصطدم بأى أجرام فضائية أخرى فتفقد جزءًا من جسمها ثم تواصل انطلاقها بلا هدف !

إذ نادرًا ما توجد قطعة واحدة من الصخر تتصرف ككوكب ! وتنطلق فى الآفاق الرحبة للكون فى طريق واحد محدد !

وكان لابد أن تكون كبيرة نسبيًا مثل تلك التى تظهر الآن على الشاشة أمامهم ..

كانت لا تزال صخرة واحدة هائلة الحجم ! برغم امتلاء سطحها بالفوهات والحفر والشقوق الناتجة من اصطدامها المتكرر بوابل من الشهب أو النيازك !.. وربما بعد عدة ملايين من السنين .. عندما تتمزق وتتآكل بتأثير كتل وأجسام فضائية أخرى أصغر منها .. تصل إلى حالة تصبح فيها مجرد صخور ضالة تنطلق فى اتجاه مماس لمسارها .. وتغوص بلا هدف فى أعماق الفضاء كأى كويكب عادى !

أما الآن .. فهو ثابت فى مداره .. وطالما عرفت إحداثياته الدائرية لـ .. فإنه يمكن دائمًا الوصول إليه ..!

صرخ (مراد) باتفعال :

ـ ادخل بنا إلى المدار .. هذا هو الكويكب !

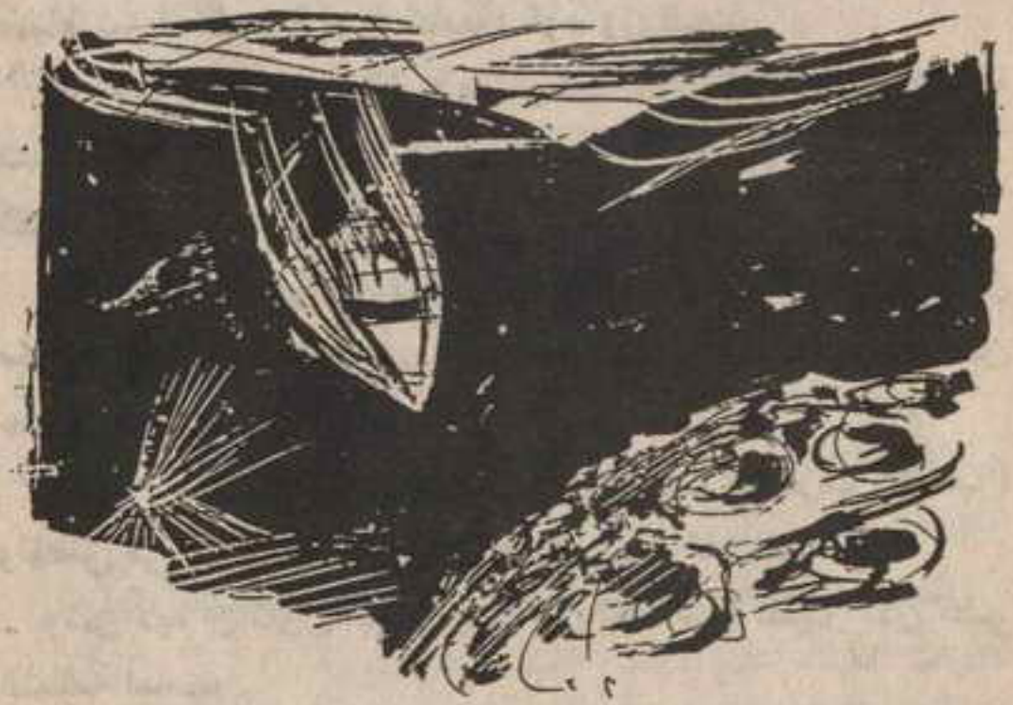

ـ ٤ ـ

هبطوا على سطح الكويكب الوعر .. الذى لا يصلحّ للحياة .. فى ثلاث من مركبات الإنقاذ الخاصة بسفينة الفضاء ..

جثم رجلان فى كل واحدة .. وتركوا السفينة الضخمة معلقة فوقهم فى الفضاء دون أى إنسان بها ..

كان سطح الكويكب مملوءًا بالحفر .. بعضها صغير لا يتعدى قطره بضعة أمتار .. والبعض وصل قطره إلى نحو كيلومترين ! بالإضافة إلى وديان عميقة وكهوف عالية ..

أما بقية سطح الكويكب .. فعبارة عن غابة من الشقوق والأخاديد المتقاطعة العميقة .. التى تغطت أعماقها فى ظلال الأبدية !

قاد (مراد) رفاقه إلى أسفل أحد الوديان الضيقة .. أخذوا يسيرون ببطء .. حذرين من الصخور الحادة التى يمكن أن تقطع أردية الفضاء مكيفة الضغط ..

أضاءوا الظلام الذى يلفهم من كل جانب ببطاريات الليزر التى تشع ضوءًا صناعيًا ضبابيًا ..

كان هناك كهف على بعد عشرين مترًا فوق ربوة .. وفى داخله كانت الظلمة حالكة لدرجة أن أشعة الليزر لم تجد معها نفعًا .. لكن لم يكن الرجال مضطرين للمغامرة بالدخول .. إذ وجدوا كومًا منظمًا من الصناديق البلاستيكية الداكنة موضوعًا داخل فتحة الكهف مباشرة !

كان هناك عشرون صندوقًا متوسط الحجم يمكن للرجل أن يحمل واحدًا منها بسهولة .. لكنها لم تبدُ أنها من نوع الكنوز والغنائم التى تساوى البلايين من العملات الذهبية المستخدمة فى المجرة ..

وأدرك (مدحت) أن منظرها زائف ومخادع !

★ ★ ★

انبعث الصوت الأجش لـ (مراد) من وحدة الاتصال المثبتة فى خوذته :

ـ حسن ! دعونا نخرج من هنا ومعنا الصناديق .. فكلما أسرعنا بمغادرة هذا الكهف .. كان هذا أفضل لنا !

أخذوا ينقلون الصناديق البلاستيكية الداكنة إلى مركبات سفينة الفضاء .. ويثبتونها بماسكات الحمولة الصغيرة .. ولم يستغرق ذلك طويلاً ..

وفى الحقيقة بعد أقل من نصف ساعة لم يبق فى مدخل الكهف سوى ثلاثة صناديق ..

غمغم (مراد) قائلاً :

ـ الرحلة الأخيرة !

ولاحظ (مدحت) أن (مراد) بدا كما لو كان يبتسم ..

قال فى نفسه :

ـ دعه يبتسم ! سوف أضحك عليه فى النهاية !

تحرك الرجال الستة الآخرون ببطء .. على طول الأخدود العميق .. و (مراد) فى المؤخرة .. وأمامه مباشرة (مدحت) ..

وعند مدخل الكهف .. اتجه (رشاد) إلى أحد الصناديق .. ووراءه (وجدى) والمجرمون الآخرون ..

انحنى (رشاد) إلى أسفل وقبض على يد الصندوق البلاستيكى ورفعه .. ثم تأوه من المجهود وقال لاهثًا :

ـ إن هذا الصندوق أثقلها جميعًا !

راقب (مدحت) ما يحدث عن كثب .. بينما (وجدى) يحاول رفع صندوق آخر .. فإذا به يفقد توازنه ويندفع ناحية (رشاد) .. فيسقط الصندوق من يديه فيبدأ فى السب واللعن .. ثم يشهق فى رعب !

★ ★ ★

لقد تحطم الصندوق .. وكان بداخله جثة رجل ! أو فى الحقيقة ما تبقى منه .. بعد أن مزقته طلقات الليزر !

حدق (مدحت) فى المنظر المروّع مشدوهًا .. لا ريب أن هذا أحد أفراد عصابة (مراد فوزى) !

من الواضح أنه قتلهم جميعًا .. وترك جثثهم هنا .. وهرب بمفرده ! وهذا هو السبب فى أن شرطة المجرة لم تعثر أبدًا على أثر لهم ..

فى اللحظات التى أدرك فيها (مدحت) ذلك .. كان فى طريقه إلى الانبطاح على أرض الكويكب فى محاولة يائسة للهرب .. من وابل الصخور الصغيرة المندفعة نحوهم .. إذ انطلقت صاعقة ليزر من وراءهم ولفحت مدخل الكهف !

صرخ (وجدى) بينما كان جسده يتمزق بعد أن أصيب رداؤه الفضائى ..

دوى صوت (مراد) الساخر من وحدة الاتصال داخل خوذته الشفافة :

ـ هل قابلتم أفراد عصابتى ؟ إنكم سوف تلحقون بهم سريعًا !

لكن (مدحت) كان مستعدًا للخداع والخيانة .. فعبثت يده المرتدية للقفاز فى حزامه الجلدى .. وأخرجت مسدس الليزر الذى سقط من مدير السجن الفضائى .. ثم ركع على ركبتيه وأطلق دفقات الإشعاع فى اتجاه (مراد) ..

انفجرت صاعقة الليزر إلى يسار (مراد) الذى قفز إلى الخلف وهو يصرخ .. وأخذ يطلق مسدسه فى جنون فقتل (رشاد) فى وهج من الضوء .. وكذلك المجرمين الآخرين ..

وبقى (مدحت) وحيدًا .. فى مواجهة المجرم (مراد) !

ـ ٥ ـ

جثم (مدحت) بجوار مدخل الكهف .. وأخذ يحدق إلى الخارج فى حذر .. وأمكنه أن يرى (مراد) وهو يختفى عن مجال الرؤية فوق قمة ربوة ..

قال (مدحت) لنفسه :

ـ سأتركه يتحرك كما يشاء ! فإنه لن يذهب بعيدًا ! ثم سار ببطء واحتراس خارجًا فى العراء ..

وكان (مراد) قد قفز من فوره إلى أحد مركبات النجاة .. وأخذ يخطو متثاقلاً إلى المركبة التالية ..

تحدث (مدحت) من وحدة الاتصال قائلاً :

ـ لا تتعب نفسك يا (مراد) ! لقد ثبتُّ المركبات الثلاث .. بحيث لا ترتفع قط إلى سفينة الفضاء ! لقد انتهى أمرك ! وأنصحك بالاستسلام !

صدر صوت (مراد) مثل فحيح الأفعى فى أذنيه :

ـ من أنت ؟ إننى لم أرتح لك قط ! منذ أن أفشيت إلىّ بسر الشفرات الكودية للسجن الفضائى وتمكنا من الهروب ! إنك لست مجرمًا .. أليس كذلك ؟!

قهقه (مدحت) وأجاب بقوله :

ـ إن هذا شىء واحد صحيح توصلت إليه ! أجل .. إننى عميل سرى لشرطة المجرة ! وهذه الخدعة هى الوحيدة التى فكرنا فيها لاكتشاف المكان الذى خبأت فيه مسروقات كويكب (السعادة والبهجة) .. ولم يعرف بحقيقتى سوى مدير السجن الفضائى (شوقى) ونائبه !

رد (مراد) بذهول :

ـ لكن .. المدير ! لقد أطحت به فى بئر التهوية !

قال (مدحت) مؤكدًا :

ـ يا لك من ساذج ! فلقد كان مزودًا بوحدة خاصة ضد الجاذبية أخفاها فى ملابسه .. والذى حدث أنه سقط بعيدًا عن أنظارنا ثم أخذ يحوّم فى البئر .. لكن هذه الصرخات التى أطلقها كانت متقنة جدًا ! أليس كذلك ؟

لم يرد عليه (مراد) .. بل كان يحدق كالأبكم فى سفن الفضاء التى بدأت تظهر فوقهم ..

سفن شرطة المجرة المميزة ..

استدار (مراد) وحاول أن يهرب ..

قال (مدحت) فى هدوء :

ـ لا جدوى من ذلك يا (مراد) ! إن معى جهازًا دقيقًا جدًا للاستشعار عن بُعد .. يحدد موقعى تمامًا ! وشرطة المجرة كانت تتبعنا خطوة بخطوة .. منذ هروبنا من السجن الفضائى رقم (٩) ..

ألقى (مراد) مسدس الليزر إلى أرض الكويكب فى يأس .. وانتظر ليستسلم لرجال شرطة المجرة .. لينال عقابه !

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٤٠٦١

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥١

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

الرعب الإلكترونى

- هذه مجموعة أخرى من قصص الخيال العلمى المثيرة .. تدور أحداثها فى عالم المستقبل :
- الرعب الإلكترونى .. القادم من غرفة الألعاب الإلكترونية .. والذى يكون قاتلًا فى بعض الأحيان !
- هل يمكن أن يتحول كوكب الأرض .. إلى مثل هذا الجحيم فوق كوكب المرت !
- ماذا يحدث عندما يحلم الروبوت .. بالثورة !
- الاكتشاف الرهيب الذى وجده الروبوتات .. عند عودتهم من بين النجوم ..
- كان لابد من تدمير البرنامج الكمبيوترى الجديد .. من أجل مستقبل الإنسان .
- ما هو سر صانعى الأحلام ؟

وغيرها من قصص الخيال العلمى .. إن قراءة (نوفا) متعة لا تنسى .

المؤلف

رءوف وصفى

٣١٦٥٩

فى هذا الكتاب

الصفحة

- الرعب الإلكترونى ٥
- البيئة المعادية ٢٥
- أحلام الروبوت ٣٥
- العودة من النجوم .. ٥١
- تدمير برنامج كمبيوتر ٧٧
- الكمبيوتر .. امرأة... ٩٩
- صانعو الأحلام..... ١٠٥
- الهروب من السجن الفضائى ١٢٧

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم